هجين الجملوكية
"الابن"

هجين الجملوكية

" الابن "

روايـــــة

محمود عبدالمنعم

هجين الجملوكية "الابن"

اسم الكاتب: محمود عبدالمنعم
تدقيق لغوي: فريق المكتبة العربية
تصميم الغلاف: مروة صلاح
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولـى – يناير ٢٠١٩ م
رقم الإيداع: 2149 / 2019

Arabiclibrary2017@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017

01030365801

جميع الحقوق محفوظة

احداث هذه الرواية من وحى خيال المؤلف
واى تشابه بينها وبين الواقع فى الاحداث والشخصيات
فهو من قبيل المصادفة البحتة

اهداء

الى والدى العزيزرحمة الله عليه واسكنه فسيح جناته

الى والدتى اطال الله عمرها وامدها بالصحة والعافية

الى زوجتى الحبيبة وبناتى (ايمان وملك)

الى والد زوجتى العزيزمحمد السمرة

رحمة الله عليه واسكنه فسيح جناته

الى شعوب الأرض

(١) الثائر

الزمان: صباح يوم من ايام اكتوبر عام ٢٠١٠

المكان: مبنى الامن القومى لدولة عربية نامية صغيرة بعيدة - حجرة مكتب رحب .. فاخر..

وسط اضواء خافتة اضفت غموض على المكان وبإبتسامة واسعة نهض من خلف مكتبه رجل فى اوائل العقد الخامس من عمره تدل اناقته وهيئته على انه مسئول هام يتقلد منصب رفيع بدولته ..وفى هدوء وترحاب مد يده ليصافح ضيفه القادم والذى بدا أصغر سناً من الرجل وأقل ترحابا به وان كان يتفق معه فى الاناقة.. وما ان جلس الاثنان حتى تجمدت نظرات الضيف أمام بقعة مظلمة فى ركن من اركان المكتب يجلس فيها رجل ثالث ملامحه وهيئته مختفية تماما وسط الظلام الذى يحيط به..لحظات صامتة واندفع الضيف متسائلا:

- **هل يمكننى ان اسأل.. ما سبب وجودى هنا؟؟ .. (ثم اشار برأسه وهو يضيف) ..ومن الذى يجلس هناك؟؟**

وبنفس الابتسامة التى استقبله بها رد المسئول قائلا:

. تذكر انى اكدت لك فى المكالمة الهاتفية ان اللقاء بيننا لقاء ودى ليس أكثر.. ثم انى تركتك تحدد الميعاد المناسب لك .. (ثم اشار برأسه ناحية الرجل الثالث) .. ولا تشغل بالك بمن يجلس هناك .. ولا داعى للقلق يا عزيزى..

هز الضيف كتفيه قائلا:

- المسألة ليست قلق ..ولكننى أحب الوضوح..

اعتدل المسئول فى مجلسه وهو يقول:

- وانا فعلا واضح معك..

هتف الضيف متسائلا برنة ساخرة:

. بعد احتجاز هاتفى وتفتيشى .. كيف يكون لقاءا وديا فى مبنى الأمن القومى؟؟ (وبسخرية متزايدة اضاف وهو يشير الى البقعة المظلمة) .. ومعنا الرجل الخفى..

أجاب المسئول فى جمود صارم :

- لا داعى للسخرية منه ..

عاد الضيف ينظر الى البقعة السوداء وحاول ان يتبين ملامح من يجلس هناك الا انه تنهد وهو يقول:

. حسنا ساتجاوز هذه النقطة مؤقتا ..واكرر سؤالى ..كيف يكون اللقاء بيننا وديا ونحن داخل مبنى الامن القومى ؟؟

رد المسئول فى هدوء عجيب :

- حساسية منصبى وشهرتك ككاتب سياسى بارع تحتم على كلانا ..كأصدقاء.. بأن لا نتقابل فى أماكن عامة..

رد الضيف:

- لسنا أصدقاء.

اتسعت عينا المسئول وهو يقول وسط ابتسامته التى لم تترك وجهه:

.- يا لجراءتك.. أترفض صداقة شخص مثلى؟

أجاب الضيف فى ثبات:

- بالطبع ..لأننى مختلف معك دائما وبالتأكيد تقرأ ما أكتبه عنك وعن مجموعة المستشارين المقربين من الرئيس شخصيا والتى تترأسها انت ..بجوار منصبك الأمنى هذا وبالأضافة الى وجودك كوزير فى الحكومة الحالية.

قال المسئول:

- ولكن الاختلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية.

رد الضيف فى حزم:

- ليست أى قضية ..انها قضية وطن يئن ..بلد يعانى.. وجيل بأكمله بائس حزين ..زرعتم فيه الاحباط واليأس بسبب سياستكم الخاطئة فى ادارة البلاد وحساباتكم التى تقوم على حماية مصالحكم الشخصية ومصالح احبائكم واعوانكم واتباعكم.. على حساب ثروات هذا البلد.. فى حين تأتى مصالح الشعب فى المرتبة الأخيرة من اجندة اعمالكم التى تغمرها رائحة الفساد.

تلاشت الابتسامة من على وجه المسئول وهو يقول فى برود ساخر:

- هل تتوقع ان تستفزنى هذه الكلمات.. على العكس.. لقد اعدت عليها.. ومللت منها.. ألم تمل انت منها؟؟

وبنفس اللهجة الحازمة الجريئة أجاب الضيف:

- لا ..ولكن دعنى اطرح عليك نفس السؤال.. ألم تمل انت من كثرة تصريحاتكم الوردية.. والتى تؤكد ان كل شئ على اكمل وجه وتحت السيطرة ..وان اليوم افضل من أمس ..والغد

سيكون أفضل... بينما الواقع يؤكد اننا مقبلون على كارثة.. كارثة محققة تهدد كيان هذا البلد.

هتف المسئول فى ثورة مكتومة:

- هذا ما تتوهمه انت وتبثه عبر سطور كتبك ومقالاتك.. وتهدم بها خطتنا الطموحة لتنمية هذا

رد الضيف ساخرا:

- تنمية .. أى تنمية؟.. (ثم اضاف) يا ليتكم تتركون مكاتبكم الفخمة ..وعرباتكم الفارهة..وقصوركم المنيفة.. وحياتكم المستوردة كلها من الغرب والشرق بأموال الشعب المسكين ..وتنزلوا الى الشارع ..بين الناس ..سترون أثار تلك التنمية المزعومة على الوجوه المحطمة.

المسئول: انها مرحلة انتقالية ..من أجل التغيير الى الأفضل.

الضيف :. انه تفكك وليس تغيير..تفكك بلد ..تفكك حضارة ..تحلل انتماء كان فى وقت من الاوقات هو وقود الأمة فى بناء حضارتها القديمة العظيمة.. فكيف تطلبون بناء حضارة حديثة وانتم تقتلون روح الانتماء داخل النفوس

المسئول :.لكل بلد ظروفها.

الضيف :. بل لكل بلد رجالها ..رجال إما يرفعونها الى مصاف الدول المتقدمة أو ينزلوا بها الى اسفل خط الفقر.. كثير من الدول كانوا أكثر منا تخلفا وأقل منا فى امتلاك الثروات الطبيعية ..أصبحوا فى خلال سنوات قليلة متقدمون

عنا بمراحل.. ألم تدركوا بعد ان العيب والخطأ فى نظامكم وفى رؤيتكم لإدارة بلادنا؟؟

رد المسئول فى سخرية:

- وهل تتصور نفسك خبيرا عظيما تستطيع ادارة هذه البلاد؟؟

أجاب الضيف بتهكم:

-لا ..ولكن ماذا فعلت انت ايها الخبير العظيم؟؟ ..وما هى نتائج ادارتك للبلاد؟؟ ..(ثم اضاف فى حزم) ..معدلات تنمية تنخفض كل يوم ..عجز هائل فى الميزانيات يزداد كل يوم ..الفساد فى كل قطاعات الدولة ..الابتزاز أصبح العملة السائدة فى اى مكان تحت سمعكم وبصركم ..مسئولين وكبار فى الدولة يتساقطون كل يوم ..منهم من يخطف الملايين ويهرب الى الخارج من قاعة كبار الزوار..ومنهم من تورط فى صفقات مشبوهة وعمليات فساد كبرى ورغم ان التحقيقات تثبت هذا التورط ..الا انكم تتركونهم يعثون فى الارض فسادا ..ويتجولون بحرية فى طول البلاد وعرضها ..يتباهون انهم فوق القانون والنظام ..وهذا ليس له غير معنى واحد.. أن النظام الذى يتخاذل ويعجز عن صد الفساد بل ويحميه ..هو نفسه متورط وغارق حتى اذنيه فيه..

وعلى عكس ما كان يتوقعه الضيف نظر المسئول اليه فى صمت وبدا انه يحاول ان يتماسك قبل ان تنفلت أعصابه ..ويبدوا انه نجح فى السيطرة على اعصابه عندما تنهد قائلا:

-كنت اتوقع مثل هذا اللقاء الجاف.

قال الضيف:

-اذن فلنعد الى سؤالى الاول ..ما سبب وجودى هنا؟؟

ابتسم المسئول ابتسامة صغيرة قائلا:

-كما قلت لك من قبل ..مجرد لقاء ودى.

الضيف: والهدف منه؟؟

المسئول: تقديم نصيحة مخلصة لك.

الضيف: نصيحة ام تهديد؟؟

اجاب المسئول وسط ابتسامة واسعة:

- هذا الاسلوب المباشر يعجبنى حقا ..لذلك سأكون واضحا معك الى اقصى درجة ..وأقول وأؤكد ان هذا اللقاء هدفه النصيحة بالفعل..

قال الضيف فى لمحة من السخرية:

- وماذا اذا رفضت النصيحة؟؟

مال المسئول الى الامام وهو يقول فى جدية حازمة يملؤها لهجة التهديد:

- فى هذه الحالة وبإختصار شديد ستكون متهما فى خلال ٢٤ ساعة.

تمتم الضيف فى تعجب:

- متهما!!

قال المسئول فى اقتضاب:

- نعم..

تماسك الضيف وسيطر على تعجبه وهو يسأل فى برود ساخر:

- وبماذا تتهمونى؟؟

أجابه الضيف وهو ينظر أمامه الى ملف ملئ بالاوراق:

- هناك قضايا كثيرة تنتظرك ..سب وقذف ..افشاء اسرار الدولة.. الدعوة الى التمرد والعصيان ..محاولة افساد المناخ الاقتصادى.. اتهام الحكومة بالنصب والاحتيال ..اتهام المسئولين الكبار ورئيس الوزراء شخصيا بال.....

قاطعه الضيف قائلا:

- عندى مستندات واوراق وادلة تؤكد تورطكم فى سلسلة من العمليات والصفقات الفاسدة والتى ضربت اقتصاد البلاد..

ابتسم المسئول فى خبث قائلا:

- ونحن أيضا.. لدينا مستندات..

هتف الضيف:

- اتحداكم ان تجدوا دليل واحد ضدى تستخدموه لتشويه سمعتى.

أومأ المسئول برأسه قائلا:

- بالفعل ..نحن نعترف بذلك.. فللأسف تاريخك نظيف جدا منذ ان كنت رياضى سابق ثم اعتزالك واتجاهك للأدب والكتابة واصدارك للعديد من الكتب وتحريرك للمئات من المقالات والتى جذبت الجميع فى مصر والوطن العربى.. ونقر بأننا لم نجد ثغرة واحدة طوال حياتك الماضية سواء كانت أخلاقية او مهنية نستطيع بها ان نحولها الى قضية تشغل الرأى العام وتهدم علاقة الثقة والمصداقية بينك وبينهم.

قال الضيف ساخرا:

- يا لعظمة رجال هذا البلد.

تجاهل المسئول تعليق ضيفه وأستطرد:

- لذلك عكفنا على اعداد مستندات اخرى تجعل مستنداتك التى حصلت عليها بشكل أو بآخر..بلا اى قيمة امام القضاء..

وبنفس لهجة السخرية قال الضيف:

- بالفعل.. نحن نعيش ازهى عصور الديمقراطية والموضوعية والشفافية.

رد عليه المسئول هذه المرة وقال:

- دعنى اؤكد لك بأننا نعيش بالفعل ازهى عصور الديمقراطية.. فلو اننا نظام ديكتاتورى لكنت الأن بين جدران المعتقلات مع اول حرف كتبته ضد النظام.

ضحك الضيف وهو يقول:

- تتكلم وكأنه بالفعل لا توجد معتقلات فى بلدنا يتعرض من بداخلها لأبشع الوان التعذيب فى خرق صارخ لكل الاتفاقيات الدولية لحقوق الانسان والتى اشتركتم فيها ووقعتم على احداها فى وقت قريب..

نظر المسئول اليه صامتا ثم قال فى هدوء لا يتناسب مع حرارة الحوار:

- ليس هذا من شأنك.. ولنعد الى موضوعنا..

قال الضيف:

- حسنا فلنعد الى موضوعنا.. وبالطبع وبكل تأكيد ستكون نصيحتك لى هى الصمت.

هز المسئول رأسه نافيا وهو يقول:

- لا.. بل الرحيل.. الرحيل من الوطن..

ونزلت كلماته كالصاعقة فوق رأس الضيف ..

*****

(٢) لقاء مباشر جدا

اتسعت عينا الضيف وقد صدمه الرد وزلزل كيانه كله .. فقال وهو غير مصدق ما يسمعه:

- الرحيل.. ماذا تقصد؟؟

اجابه المسئول فى برود قاسٍ:

- الرحيل من هنا ..عليك ان تترك البلد فورا.

دق قلب الضيف فى عنف وهو يهتف:

- تطردوننى من بلدى ..من وطنى.

قال المسئول فى حدة:

- نعم .. ولا داعى لأن تسترسل فى كلامك وتعطينى درسا عن حب الوطن وعشقه وانك ستفضل الموت عن ان ترحل وغيرها من هذه الكلمات والمعانى.

هتف الضيف:

- حب الوطن عندك مجرد كلمات ومعانى..؟!

رد المسئول بسرعة:

- حب الوطن عندى هو المصلحة العليا .. والمصلحة العليا هو ان تترك هذا الوطن وترحل.

صمت الضيف وتبادل النظرات مع المسئول الذى استطرد قائلا:

- لو كنت تحب وطنك بالفعل ..عليك ان ترحل فورا ..فوجودك ووجود مقالاتك وكتبك يمثل عائقا كبيرا فى سبيل تقدمه.

اغلق الضيف عينيه وتسارعت انفاسه وتمنى لو أنه لم يولد اصلا فى هذه الحياة وداخل هذا البلد و.. ولكنه عاد ليفتح عينيه ونظر الى المسئول فى تحد قائلا فى حزم شديد:

- لن أرحل ..وافضل السجن عن الرحيل ..فاسجنونى..

قال المسئول:

- سجنك سيزيد الامور تعقيدا ..لأن الرأى العام لن يسكت.. وسيثور..

هتف الضيف:

- اقتلونى.

نظر المسئول اليه قليلا ثم تنهد قائلا:

- القتل مستبعد تماما فى حل مشاكلنا الداخلية مع اشخاص مثلك .. بل هو فى آخر قائمة المفاوضات والحلول المقترحة.

الضيف: ولكنه موجود فى القائمة.

المسئول: ولكننا لن نستخدمه معك ابدا ..هذا وعد منا.

الضيف: وعد ..كيف أثق فى رجال يخدعون وطن باكمله.

المسئول: عدنا مرة أخرى الى الكلمات الرنانة التى لا تفيد فى شئ وتضيع بها وقتى ووقتك ..صدقنى يا عزيزى لقد درسنا كل الحلول ووجدنا ان الحل الانسب لك ولمصلحة هذا البلد هو الرحيل ..وفورا..

وللحظات ساد الصمت فى حجرة المكتب الى ان قال الضيف فى بطء صارم:

- اريد مقابلة الرئيس.

كان الذهول من نصيب المسئول وهو يقول:

- ماذا؟

قال الضيف فى حدة مرتفعة:

- لقد سمعتنى جيدا ..اريد مقابلة الرئيس شخصيا.

قال المسئول مرددا:

- تريد مقابلة الرئيس شخصيا؟.

قال الضيف فى اصرار حازم:

- نعم.

نهض المسئول من خلف مكتبه وقال وهو يسير بإتجاه ضيفه:

- شئ عجيب وغريب فى انك كاتب سياسى محنك.. ومع ذلك لم تستوعب بعد قواعد لعبة السلطة.

تمتم الضيف وهو يتابع بعينيه خطوات المسئول:

- لعبة السلطة ... يا له من مصطلح خطير ومفزع ..رحماك يا ربى على مستقبل هذا البلد.

تجاهل المسئول هذه الكلمات واستطرد وهو يجلس فى المقعد المقابل للضيف:

-انت طلبت مقابلة الرئيس ..وهو سيوافق بالطبع ..وسيستقبلك فى مكتبه بحفاوة وترحاب ويستمع اليك فى انصات شديد واهتمام بالغ ..وبمجرد انتهاء لقاءه معك سيتصل بى هاتفيا بصفتى رئيسا لمستشاريه ويشرح لى مشكلتك بإيجاز ويطلب منى وضع الحلول المناسبة... ولذا وكما ترى ان موضوعك لن يخرج من هنا..

تمتم الضيف متسائلا:

- هل تعنى باننى اجلس الأن امام من يملك السلطة العليا فى الوطن؟؟

أجابه المسئول:

- لست أنا ..وأنما نحن ..فنحن مجموعة من المستشارين.

قال الضيف فى سخرية مريرة:

- يا للأمانة المهنية..

قال المسئول متجاهلا الرد:

- لا اصدق بالفعل فى انك لم تدرك قواعد السلطة عندنا ..وهو ليس بأمر غريب بل ما يحدث عندنا يحدث فى معظم دول العالم ..حيث يكون الرئيس مجرد شخصية رسمية يمثل الدولة فى كل المحافل الدولية والعالمية فى حين كلماته وآراءه ووجهات نظره وخطبه وأحاديثه الاعلامية فى كل وسائل الاعلام المختلفة والمتعددة ما هى الا خلاصة عقول مستشاريه الذين يختفون ورائه..

ساد صمت ثقيل والضيف ينظر الى اسفل ثم يهز رأسه معترضا معلقا بصوت حاد مكتوم:

- عقول مستشاريه أم عقل ابن الرئيس؟

تجمدت ملامح المسئول وبدا انه لم يتوقع كلمات الضيف الذى تابع فى سرعة صارمة:

- هل تتوقع بانني لا اعلم مدى تأثير ابن الرئيس فى كافة قرارات الدولة بمختلف المجالات .. الشعب كله يعلم بانه هو الذى..

قاطعه المسئول صائحا بصوت هادر:

- اصمت ..

ابتلع الضيف باقى كلماته وهو ينظر الى المسئول بنظرات صارمة شجاعة بينما يظهر على وجه الاخير بعض التوتر للحظات وهو يلقى بنظرة جانبية الى الركن المظلم الذى يجلس فيه الرجل الثالث لاحظها الضيف .. و...

- اريد ان اجرى مكالمة من هاتفك..

هتف الضيف بطلبه هذا فى هدوء مفاجئ للمسئول الذى مد يده واختطف هاتفه من على سطح مكتبه وهو يتساءل فى عصبية واضحة :

- مع من ستتحدث ؟؟

اجاب الضيف فى برود عجيب:

- مع زوجتى ..

بدا المسئول مترددا وقال وهو يناول للضيف هاتفه:

- حذار من اتخاذ اى خطوة حمقاء ..

ارتسمت ابتسامة باهتة فوق ملامح الضيف الذى ما ان تناول الهاتف حتى لمس شاشته عدة مرات بتتابع سريع و...

واشتعل الموقف كله ...

اضاء الضيف مصباح الهاتف وقام بتوجيه اضائته فى سرعة بالغة الى الركن المظلم الذى يجلس فيه الرجل الثالث..

وانكشفت ملامحه ..

وانتفض المسئول فى مكانه واقفا وهو يشهق بقوة وقد اصاب الشحوب وجهه تماما ..

بينما اتسعت عينا الضيف هاتفا فى دهشة وذهول وهو يقفز من مقعده بدوره :

- ماذا؟؟ .. ابن الرئيس ..

وفى هدوء عجيب نهض ابن الرئيس من مقعده الوثير الذى كان يجلس فيه وسط الركن المظلم وبدا طويل القامة بعمره الذى تعدى الاربعين بقليل ..ملامح متناسقة صارمة ووجه ينطق بالذكاء الحاد ..وفى خطوات مهيبة اقترب منهما وقد ظهر الارتباك الشديد على وجه المسئول وهو يعتدل فى مكانه باحترام بالغ بينما وقف الضيف قاطبا حاجبيه بشدة وضاقت عيناه وهو

يتبادل مع ابن الرئيس نظرات نارية بينما الاخير يجلس فوق مقعد المسئول خلف المكتب وهو يقول بصوت لاذع بارد كالثلج مشيرا لهما بالجلوس :

- مرحبا بالصحفى والكاتب المشاغب..

رد الضيف فى اقتضاب وهو يعود الى مقعده ويضع الهاتف بعيدا:

- مرحبا..

وبكلمات مرتجفة متوترة قال المسئول:

- اتقدم باعتذارى يا سيدى عما بدر من .....

قاطعه ابن الرئيس متجاهلا كلماته قائلا للضيف:

- حركة جيدة ..

بدا الضيف متماسكا أكثر من المسئول وهو يسأل فى حزم:

- ما الداعى لجلوسك هناك ؟؟ .. (ثم تابع فى شجاعة) .. كان من الممكن ان تتابع حديثنا من حجرة مجاورة و عبر جهاز تصنت بسيط بدلا من ان تجلس فى الظلام ...

وفى جراءة بدت للمسئول غير عادية عندما تابع الضيف:

- أم انك اعتدت العمل فى الظلام و...

قاطعه ابن الرئيس هذه المرة قائلا بمزيج من الغضب والصرامة والشراسة :

- حرف واحد اضافى .. وستدفع الثمن غاليا جدا .. (ثم استطرد بحروف بطيئة بدت كسيل من البركان الثائر) ..لا تتعمد استفزازى حتى لا ترى ما لم تراه فى ابشع كوابيسك عبر سنوات عمرك كلها..

قطب الضيف حاجبيه وخفق قلبه فى عنف وقد شعر بانه امام شيطان حقيقى مستعد ان يفعل اى شئ دون ادنى رحمة مستندا على ما يملكه من صلاحيات لا حد لها .. فاختار ان يصمت بينما سأله ابن الرئيس فى هدوء مفاجئ وكأن الاجواء طبيعية تماما:

- هل استوعبت الأمر؟

أومأ الضيف برأسه وهو يتمتم

- نعم ..ادركت جيدا قواعد اللعبة..

تساءل ابن الرئيس:

- وما قرارك؟؟

اعتدل الضيف فجأة وبدا انه سيطر على انفعالاته بسرعة وتجاهل كل ما حدث فى الدقائق السابقة هاتفا فى حزم:

- لن أرحل ..وسأعتمد على الرأى العام فى اظهار براءتى وحقيقتكم..

وفى صوت هادر قال ابن الرئيس:

- وما دمتم على هذا الاصرار فسأقولها لك بصراحة تامة وقاسية ..اذا لم ترحل.. وجعلتنا ندخلك السجن.. فسنختلق أزمة أو فتنة أو كارثة أو حادثة مأساوية نشغل بها الرأى العام كله عن قضيتك وستجد نفسك وقتها وحيدا لن يقف بجانبك أحد..

شعر الضيف بدوار حقيقى بدأ يسيطر على عقله مع كل كلمة قالها ابن الرئيس حتى انه انحنى ليضع رأسه فوق راحة كفيه وهو يقول فى انهزام واضح:

- الى هذه الدرجة..

ابن الرئيس :

-نعم ..ويبدوا انك لم تدرك بعد اننا مستعدون لكل شئ..

الضيف فى حزن رهيب : هذا واضح .. ولكن ....

قاطعه ابن الرئيس فى صرامة: تصور ان قرارك بعدم الرحيل سيتسبب فى وقوع مشاكل للبلاد ..فهل ترضى بذلك؟؟

أجاب الضيف وسط بكاء صامت وحزن

- هل انت ترضى بذلك؟؟

قال ابن الرئيس:

- بالطبع لا ..لذلك اتخذت اقصر الطرق بلقاء معك صريح وواضح لإختصار كل ذلك فى اجراء واحد هو الرحيل ..من أجل الشعب.. ومصلحة البلاد....

حاول الضيف ان يقاوم دمعة حارة ارادت ان تفر من عينيه الا انها وعلى الرغم منه فرت وانسابت معها دموع الهزيمة والقهروالذل والمهانة و...

والرغبة الحقيقية فى الرحيل.. الرحيل بالفعل..

وبلا رجعة..

وفى انكسار واضح نهض من مكانه واتجه الى باب المكتب واعين ابن الرئيس والمسئول تراقب خطواته حتى خرج واغلق الباب ورائه فالتفت المسئول الى ابن الرئيس قائلا فى تلعثم :

- سيدى .. انى ...

قاطعه ابن الرئيس فى شراسة باردة:

- لقد قبلت استقالتك..

شحب وجه المسئول بشدة وقد ادرك ما يعنيه ابن الرئيس فتمتم بصعوبة ..

- استقالتي؟ ..

أومأ ابن الرئيس برأسه وهو يهتف فى حدة :

- لا مكان عندى للفشل او حتى الاعتذار عن الفشل .. وما حدث امامى بينك وبين هذا الصحفى اللعين يعنى انك فاشل وغبى.. ومن السهل ان تسقط فى أى فخ ..

احتقن وجه المسئول تماما وتصبب العرق من كل خلاياه واندفع صائحا بكلمات حاول ان تكون متماسكة:

- ولكن ما حدث ليس خطأى ... لقد اقترحت تسجيل اللقاء بدلا من ...

قاطعه ابن الرئيس فى حسم رهيب:

- انصرف من امامى..

صمت المسئول ولم يستطع النطق بحرف واحد اضافى ..

هو يعلم جيدا ان ابن الرئيس قد اتخذ قراره بصورة قاطعة نافذة كعادته ولا مجال للتراجع او اعادة النظر..

ابدا..

*****

(٣) العائلة

بملامح صارمة جامدة انهمك ابن الرئيس فى الضغط على مفاتيح جهاز اللاب توب الخاص به بتتابع سريع منتظم وهو ينظر الى شاشته بإهتمام وتركيز شديدين داخل مكتبه الفاخر بالقصر الرئاسي بينما اخذت تتابعه بملل واضح سيدة انيقة فى منتصف الخمسينات من عمرها ثم زفرت فى ضيق واضح وهى تسأله بحروف ساخطة:

- هل ستبقى منشغلا هكذا طوال الوقت؟؟

بدا ان ابن الرئيس لم يسمعها حيث استمر فيما يفعله فهتفت السيدة فى اعتراض :

- انى اتحدث اليك..

توقفت اصابعه عن الضغط على مفاتيح اللاب توب ورفع رأسه ينظر اليها قائلا فى بروده المعهود:

- السياسة حرب باردة مستمرة لا تنتهى ..والتركيز فيها يحقق النجاح فى استنزاف خصومنا والتفوق على اعدائنا بحيث نبقى دائما فى مقدمة المشهد..

ردت السيدة بسخرية :

- اتعطينى محاضرة فى السياسة لمجرد انى اعترضت على انشغالك الدائم..

تنهد الابن وهو يقول:

- لا داعى لكلماتك الساخرة يا أماه.. فما قصدته هو ان ...

قاطعته قائلة:

- لا يجب ان تطغى حياتك السياسية على حياتك الشخصية ولا تنسى ان حلمى لا ينتهى عندما تكون رئيسا لهذا البلد بعد والدك أعطاه الله طول العمر والصحة الدائمة بل يمتد لأراك أباً لطفل جميل يستكمل مسيرة ابيه..

عاد الابن يتنهد مرة اخرى وهو ينظر الى شاشة اللاب توب قائلا:

- اتفق معكى فى هذا ولكن لنؤجل قرار الزواج هذا الى .....

عادت تقاطعه قائلة بلهجة حادة :

- الى متى ؟؟ .. لقد تعدى عمرك الاربعون عاما؟؟ ولا ينقصك اى شئ .. فماذا تنتظر؟؟ .. ثم هل هناك عاقل فى الدنيا يرفض الزواج من أميرة عربية تربت وعاشت فى باريس؟!!

أجاب فى برود ساخر:

- لا اعرف اللغة الفرنسية..

هبطت بيدها على سطح مكتبه صائحة فى غضب :

- لقد سئمت من اسلوبك هذا و....

قاطعها هذه المرة فى هدوء عجيب وهو يشير بيده لتهدأ:

- حسنا .. حسنا .. يمكنك تحديد موعد للزواج..

هدأت فجأة وقالت وهى تتنهد فى ارتياح :

- أخيرا ...

وهنا دلف الى مكتب الابن رجل عجوز فى نهاية الستينات من عمره بدا مهيبا بخطواته البطيئة الهادئة ومنهكا بشدة وهو يلقى بنفسه على اقرب اريكة فى الوقت الذى نهض فيه الابن من خلف مكتبه واتجه اليه بخطوات سريعة ومعه والدته والتى كان وجهها مضيئا بابتسامة واسعة متألقة ما ان لاحظها الرجل العجوز حتى قال فى رصانة :

- يبدوا ان المعجزة حدثت ووافق ابننا على الزواج...

وقف الابن بجانبه بينما قالت فى سرعة وهى تجلس بجانبه وتمسك يده:

- نعم .. حمدا لله .. (ثم استطرد بلهجة لوم) .. ولكن ما الذى جعلك تترك فراشك و...

قاطعها زوجها قائلا فى سخط:

- لقد سئمت الفراش .. سئمت المرض والعقاقير الطبية .. (ثم تأوه وهو يستطرد) .. وهذه الحقنة اللعينة تؤلمنى بشدة..

قالت زوجته (السيدة الاولى) فى اسف وحنق:

- كم اتمنى ان تتخلص منها..

رد فى سخط :

- مع الاسف .. لا مفر ..وليس هناك بديل سواها ..فهى الوحيدة التى تجعلنى متماسكا صحيا ومتعافيا قادرا على التحرك و استقبال الضيوف وممارسة مهامى اليومية كرئيس للجمهورية..

وهنا دلف الى المكتب رجل من سكرتارية القصر الرئاسى التفتوا اليه بينما يقول لهم فى احترام بالغ :

- مرحبا بفخامتكم .. (ثم التفت الى الابن مستطردا فى دبلوماسية انيقة) .. سيدى .. اذكركم بأن شيخ الاخوان مازال فى انتظاركم ..

زفر الابن فى ضيق واضح ثم قال له :

- اخبره ان ينتظر ساعة اخرى ..

رد الرجل بنفس لهجة الاحترام:

- كما يأمر فخامتكم ..

وما ان خرج بخطوات سريعة حتى التفت الرئيس الى ابنه قائلا فى لهجة غاضبة :

- كان من الخطأ ان تعقد معهم تلك الصفقة السياسية اللعينة والتى جعلتهم يتجرأون ويدخلون الى القصر الرئاسي..

احتقن وجه الابن وبدا انه يحاول السيطرة على انفعالاته وهو يرد :

- الضرورة القصوى وقتها كانت تحتم عليَ ذلك .. فالمظاهرات تتزايد وكان الامر يقتضى استخدامهم لاحتواء صعود التيار الليبرالى واليسارى وبعض كيانات المعارضة الاخرى من خلال منح المزيد من الحرية فى الحركة والحشد لهم خاصة انهم بارعون فى ذلك جدا وقد ضربنا بذلك اكثر من عصفور بحجر واحد .. تحجيم دور اى تشكيل سياسى سيظهر فى المستقبل .. معرفة افكارهم وافكار التنظيمات الاسلامية الاخرى عن قرب وبصورة دورية .. انحسار نبرة معارضتهم لنا فى كل مناسبة وهو مارىناه ولمسناه جميعا فبعد ان كانوا يهتفون ضدنا (تابع بشئ من السخرية) اصبحوا ينصحون عشيرتهم باتباع اولى الامر .. (ثم اشار باصابعه الى نفسه وهو يستطرد) .. نحن .. (بعدها تنهد وهو يضيف) ثم ان ....

قاطعه الرئيس بنبرة غضب مرتفعة:

- ولكنهم انتشروا اكثر واستخدموا الحرية التى منحتها لهم فى زيادة اعداد انصارهم كما انهم انتزعوا عدد كبير جدا من مقاعد مجلس الشعب .. عدد اكثر بكثير مما هو متفق عليه..

قالت السيدة الاولى مدافعة عن ابنها:

- ولكنه ادار الأزمة وقتها بشكل مثالى واتخذ الاجراءات المناسبة فى الوقت المناسب ليقدم الدليل القوى للمجتمع الدولى وخاصة أمريكا باننا نظام ديمقراطى يؤمن بحرية الرأى والفكر..

قطب حاجبيه وهو يقول فى حزم:

- واشنطن تعشق التدخل فى شئون كل بلدان العالم .. تلعب بكل الاوراق وعلى كل الحبال..

عادت تقول فى حزم اكبر:

- ولكننا اصدقاء .. ونحن حليف قوى لها ..

صاح قائلا لها:

-واشنطن لا تعرف الصداقة وليس لها اصدقاء ... بل المصالح .. المصالح هي التي تحركها .. (ثم التفت الى الابن وهو يستطرد) .. وهي التي نصحتك بتنفيذ تلك اللعبة السياسية السخيفة وبالتأكيد تتلاعب هي بكل اطراف الصفقة وتحركهم وتوجههم..

عقد الابن ساعديه امام صدره وهو يقول:

- اليس غريبا ان تقول لنا ذلك بعد تاريخ طويل من التعاون معهم..

رد الرئيس فى سرعة:

- وكنت على خطأ .. وأريدك أن تتعلم .. وتأخذ حذرك منهم ..

هتفت السيدة الاولى فى سرعة مماثلة:

- وابننا لم يخطئ فى شئ ..وقادر على التعامل بذكاء وحنكة فى كافة المواقف .. (ثم اقتربت منه وهي تستطرد بحروف بطيئة معترضة محذرة) .. أما انقلابك على السياسة الامريكية بهذا الشكل أمر خطير.. فأرجو الا يتعدى حدود هذه الغرفة والاقد يضرنا ذلك كثيرا ..

رد بعصبية واضحة :

- السياسة الامريكية هى التى جعلت لاصحاب الذقون والعمائم صوتا وكيانا يقدم نفسه بشدة على ارض الواقع ليكون بديلا لنا..

تنهد الابن وهو يقول موجها حديثه الى والدته:

- لأول مرة اتفق مع والدي فى اننى لم اجرى حساباتى جيدا بشأنهم ..(ثم نظر الى والده الرئيس وهو يستطرد فى حزم) ..وسأقوم بمعالجة الامر..

صاح الرئيس فى سخط:

- هذا لانكم تتصرفون وفق اهوائكم ودون الرجوع الى..

رد الابن فى هدوء عجيب :

- نحن نتحرك فى اطار مصلحة الوطن..

عاد الرئيس يهتف وهو يشير الي ابنه بعصبية :

- بل مصلحتك انت ..

عاد الابن يرد بهدوء بارد:

- بلى .. مصلحتى جزء كبير من مصلحة الوطن.. (ثم مال نحوه قليلا وهو يضيف فى حزم) .. الست انا الرئيس القادم..

هتفت والدته :

- بعد عمر طويل ان شاء الله..

تجاهلها الرئيس تماما وسارع يقول فى اسف وحنق :

- وكان هذا اكبر اخطاء حياتى ..

اتسعت عينا زوجته وهى تصيح:

- لماذا تقول مثل هذا الـ.....

بترت عبارتها عندما ارتفع صوت الابن متحدثا الى والده ومتجاهلا اياها ايضا وهو يقول بعصبية مكتومة:

- انت الذى علمتنى وغرست داخلى هذا الهدف واعددتنى من أجل تحقيقه وسأصل اليه..

احتقن وجه الرئيس وهو يقول بغضب واضح:

- بإلغاء وجودى تدريجيا .. اليس كذلك ..

عادت الام تصيح بهما بلهجة قوية غاضبة :

- ليس من اللائق ابدا ان يكون حديثكما دائما حادا وملئ بالعصبية والعناد..

التفت اليها الرئيس وهو يهتف فى سخط:

- انتى ايضا بدأتى تتدخلين كثيرا فى عملى.. ورئيس الوزراء ألمح لى كثيرا بشكل غير مباشر.. (ثم نظر الى الابن مضيفا) .. وانت ترفض مقابلته دائما..

قال الابن فى حنق:

- لأننى غير مقتنع به ..

صاحت والدته قائلة للرئيس معترضة :

- انه رجل فاشل وغير جدير بمنصبه..

صاح بدوره :

- انا من يحدد من الفاشل ومن اريده ومن لا اريده..

شدت قامتها وهى تقول بحروف يملؤها الغرور:

- وانا السيدة الاولى ومن حقى ان اعلم كل شئ.. ولا تنسى أننى من أصول عائلة انجليزية عريقة و....

قاطعها الرئيس وهو يزفر فى حنق وملل:

- الا تملين ابدا من الحديث عن اصول عائلتك.

صاحت فى غضب:

- لأنى احب ان اذكرك بأننى ولدت لأكون الأولى وفوق الجميع..

صاح بدوره وهو يشير الى نفسه:

- وانا رئيس الجمهورية..

ردت بعناد واضح:

- وراء كل رجل عظيم امرأة..

وفى عصبية وغيظ واضحين نهض من مكانه منهيا الحديث وهو يقول فى حنق شديد :

- لا فائدة من الحديث معكما ..

ابتعد عنهما بضعة خطوات غاضبة متجها الى الخارج ثم توقف فجأة للحظة بعدها التفت الى الابن قائلا له بلهجة مغايرة تماما لما سبق حيث بدت ودودة بعض الشئ وباسلوب الاب الذى ينصح ابنه:

- كن حذرا مع الاخوان واحترس منهم ..فهم شياطين فى ثياب ملائكة..

وما ان خرج من الحجرة حتى تمتم الابن فى خفوت وهو ينظر الى الباب :

- لقد بدأ الخرف يسيطر على عقله..

اتسعت عينا والدته وقد وصل الى مسامعها كلماته فصاحت:

- ماذا تقول؟؟ .. (ثم قطبت حاجبيها فى غضب وهى تستطرد) .. ليس من الاخلاق ولا التربية ان تصف والدك بهذا الوصف المشين مهما كنت ومهما كانت افعاله.. عليك ان تظهر احترامك لوالدك باكثر من ذلك فهو الرئيس..

التفت اليها ساخرا وهو يقول:

- انتى تقولين ذلك؟؟ .. الم يتسبب فى مضايقتك كثيرا فى الاونة الاخيرة.. (ثم اكتسى صوته الجدية الشديدة والضيق وهو يستطرد) .. ألم يتسبب فى احراجنا باكثر من مرة فى سلوكه وتصريحاته التى يطلقها هنا وهناك دون ان يستشيرنا..

اقتربت منه ووضعت احدى يديها على كتفه وهى تقول :

- لا تكن قاسيا على والدك هكذا خاصا وهو كهل مريض ..

تنهد وهو ينظر بعيدا وقد بدا شاردا غارقا فى تفكير عميق متمتما:

- كهل مريض..

لم تسع الام فى مقاطعة شروده وساد الصمت للحظات بعدها عاد يقول فى خفوت :

- سيسبب لنا مشاكل كثيرة مع واشنطن..

تطرقت الام برأسها وهى تقول بدورها فى قلق :

- هذا صحيح .. ولكن .. (اضافت بصوت حازم) .. حاول ان تمنع ذلك وتخاطب الادارة الامريكية بعدم الاكتراث لكلماته وتصريحاته..

نظر اليها ثم غمغم بخفوت:

- هذه الطريقة لا تصلح فى العلاقات بين الدول..

ثم استطرد وهو ينظر بعيدا قائلا وكأنه يتحدث الى نفسه:

- يجب حصاره داخل القصر وتحديد حركته .. على الاقل تجاه كل ما يخص امريكا ..

قطبت الام حاجبيها وهى تنظر الى ابنها فى ضيق .. حاولت ان تظهر اعتراضها على كلماته وتفكيره الا ان شئ ما جعلها تصمت وكأنها متفقة معه على كل ما يخطط له و...

التفت هو اليها فى بطئ ونظر اليها بنظرة خاصة عرفت منها انه يفهم ما يدور فى عقلها فاندفعت تقول :

- سنخسر كثيرا اذا أغضبنا واشنطن .. سنخسر المعونات والمساعدات والمنح وكل شئ ..

استمر الابن فى النظر اليها بملامح جامدة خالية من الانفعالات فى حين تنهدت هى قائلة :

- حسنا .. افعل ما تريده .. ولكن فى اطار من الاحترام..

نقل نظره الى باب الحجرة وفى خطوات سريعة حازمة ودون ان يتفوه بحرف واحد اتجه الى الخارج فى صمت عجيب..

صمت ذئب يخطط لأمر رهيب ..

*****

(٤) الذئب والشيطان

- انا اسجل اعتراضى ورفضى التام لهذا الاسلوب فى التعامل معى بهذا الشكل المهين.. يتم تفتيشى والتحفظ على هاتفى واجبارى على انتظارك لاكثر من ساعتان..

هتف بهذه الكلمات الغاضبة رجل فى منتصف الخمسينات من عمره ابيض البشرة ذو لحية بيضاء خفيفة تتوسط جبهته دائرة صغيرة سمراء (علامة صلاة) يرتدى نظارة طبية فاخرة وحلة زرقاء شديدة الاناقة واضاف وهو يلوح بيده الممسكة بسبحة من العاج النادر قائلا لابن الرئيس الذى يجلس أمامه بغرورواضح وبملامح باردة مستفزة:

- يبدوا انك تناسيت من نحن..

لاحت ابتسامة ساخرة على وجه ابن الرئيس ثم قال فى لهجة لاذعة قاسية:

- انتم مجموعة متلونة ليس لها مبدأ واحد ولا سياسة محددة ..تتلاعبون بالدين لخدمة مصالحكم الخاصة ..هدفكم الوحيد هو الوصول الى السيطرة على البرلمان وحكم البلاد..

احتقن وجه الشيخ وهمّ بالرد غاضبا الا ان الكلمات توقفت فى حلقه عندما اشار اليه ابن الرئيس محذرا قائلا بمزيج عجيب رهيب من الصرامة والقسوة والشراسة والغضب المكتوم:

- كن حذرا وحاول ان تتحكم فى انفعالاتك امامى والا ستخسر الكثير جدا..

تبادل الاثنان نظرات صارمة وبدا ان الشيخ سينفجر فى وجه ابن الرئيس ولكن امام نظرات التحدى النارية الصارمة التى رآها فى عين ابن الرئيس ..ومعلوماته الاكيدة عن عنفه وقسوته وقلبه الذى لا يعرف الرحمة ..تنهد فى عمق وهو يدفن ثورته داخل اعماقه وقد قرر ان يتخطى الموقف ويتخذ سياسة اللين والمرونة وهو ما انتقل بالفعل فى كلماته وهو يقول:

- اذا كان هذا رأيك .. فلماذا وافقت من البداية على التعاون معنا ووضعت يدك فى ايدينا؟..

مط ابن الرئيس شفتيه ثم قال فى برود عجيب مقتضب:

- للضرورة احكام ..

سأله الشيخ فى برود مماثل:

- وهل الضرورة انتهت؟!

أومأ ابن الرئيس برأسه بالايجاب فى صمت مستفز .. فأطلق الشيخ ضحكة قصيرة ساخرة ثم سأل :

- أهى توجهات أمريكية؟..

تنهد ابن الرئيس قائلا وهو يغمز بطرف عينيه:

- لو هي توجهات امريكية كنت بالتأكيد قد علمت بها اثناء زيارتك السرية لها فى الاسبوع الماضى..

ظهر التوتر على وجه الشيخ وهو يقول فى سرعة :

- لقد كانت زيارة ودية لبعض اصدقاءنا فى الكونجرس..

سأله ابن الرئيس ساخرا :

- لماذا اذن تمت فى اطار سرى؟؟

ظهر الارتباك قليلا على وجه الشيخ وهو يرد:

- هى مجرد زيارة .. لا اكثر ولا اقل.. ولا اتصور ان زيارة واشنطن تعد جريمة أو خيانة عظمى .. (ثم رمق ابن الرئيس بنظرة خاصة وهو يضيف) .. فالجميع يزورونها..

ارتسمت ابتسامة واسعة ساخرة لاذعة على وجه ابن الرئيس وهو يتبادل النظرات الصامتة مع الشيخ الذى عاد ليضيف بلهجة ذات مغزى خاص:

- وبالمناسبة علاقتنا جيدة ومميزة جدا معهم ..

قال ابن الرئيس بحروف بطيئة تحمل برودة الثلج:

- هل تهددنى بهم؟؟

هتف الشيخ :

- على العكس تماما .. بل اذكرك بأنهم يدركون تماما بأننا اقوى قوة سياسية على الارض ولا يمكن اقصائنا او تجاهل وجودنا..

اسرع ابن الرئيس يقول وهو يميل الى الامام قليلا وعلى وجهه نفس اللمحة الساخرة :

- هذا لأنهم هم من صنعوكم .. خلقوا فكرة الاخوان فى العالم العربى لضرب القومية العربية واضعافها والغاء الهوية العربية .. مثلما قاموا بتمويل القاعدة وبن لادن وطالبان بالمال والعتاد فى افغانستان لضرب الاتحاد السوفيتى ابان الحرب الباردة.. نفس الطريقة فعلها الاسرائيليون بخلق ودعم حركة حماس لاضعاف عرفات ومنظمة فتح ولضمان خرق دائم لعملية السلام .. وقاموا بتكرار نفس الخطة بدعم حزب الله لتمزيق لبنان ..

احتقن وجه الشيخ من فرط الانفعال ولكنه تماسك بصعوبة وهو يقول :

- يبدوا انك لم تقرأ جيدا أصل نشأة الاخوان وسيرتهم عبر العصور..

قال ابن الرئيس فى سرعة :

- بلى .. ولكنى قرأت التاريخ جيدا .. وعلمت انه يعيد نفسه لأننا لا نقرأه وبالتالى لا نتعلم ونرتكب نفس الاخطاء..

هتف الشيخ :

- التاريخ يتلاعب بكل من يقرأه .. فهو مجرد صفحات كاذبة كتبها الحكام والملوك الذين دائما ما يكرهوننا رغم اننا كنا ولازلنا الاكثر نظامية والانجح والاقرب الى عموم الشعب ..يجمعنا حب الوطن تحت راية الاسلام..

اطلق ابن الرئيس ضحكة ساخرة ثم قال:

- حب الوطن !! .. أى وطن؟! .. (ثم اكتست ملامحه الجدية الشديدة وهو يستطرد) .. انتم تنظيم دولى منتشر فى أكثر من ٧٠ دولة .. لا تعرفون شيئا عن انتماء الارض .. فإلى أى وطن تنتمون؟!

هتف الشيخ فى حزم :

- قد نختلف فى الاصل والانتماء والوطن ولكن فى النهاية ..نحن مسلمون ولائنا للاسلام ..

تراجع ابن الرئيس وهو يقول بنفس اللهجة الساخرة اللاذعة:

- استخدامك للمفردات الدينية فى حديثك قد يؤثر على تفكير البسطاء الفقراء والجهلاء ولكنه لا يجدى معى لأنى اعلم كيف تفكرون فأنتم تحاولون السيطرة على كل دولة على حدة ثم تقومون بعمل اندماج او اتحاد فيدرالى لتشكيلة دولة اسلامية فيتحقق حلم الخلافة المزعوم..

(صمت لحظة واحدة بعدها اضاف وهو يلوح بيده بطريقة مسرحية) .. بفكر غربى ورعاية أمريكية..

وهنا اندفع الشيخ فى غضب واضح وهو يشير الى ابن الرئيس:

- انتم ايضا تريدون فرض الفكر الليبرالى العلمانى برعاية امريكية.. (ثم هدأت نبرات صوته فجأة وهو يستطرد) .. واذا كنت تعرفنا جيدا أكرر سؤالى مرة أخرى لماذا تعاونت معنا؟ .. لقد عقدنا معا صفقة والتزمنا بها .. فلماذا تحاول الغائها الان؟؟ ..لقد التزمنا بالدفاع عنكم فى كل اللقاءات بالداخل والخارج ..فلماذا تريد اعادة حالة الصدام بيننا .. (تغيرت نبرة صوته وهو يتطرد مرة اخرى باسلوب من يحاول ان يبدى مرونة) .. اذا كان هناك امر ما تعترض عليه ..فمن الممكن مناقشته والوصول الى حلول وسطية..

هز ابن الرئيس رأسه نافيا قائلا بصوت قاسى:

- لا توجد اى حلول وسطية .. فانتم تتوسعون داخل انظمة الدولة بصورة لا يمكن السكوت عليها .. فإما انتم أو نحن ..

تصاعدت الدماء فى وجه الشيخ وهو يقول فى عصبية غاضبة:

- واشنطن لن يعجبها ما ترمى اليه..

هتف ابن الرئيس :

- واشنطن تدعم الجبهة الاقوى..

اشار الشيخ الى نفسه صائحا :

- ونحن الاقوى..

قال ابن الرئيس فى ساخرا:

- اواثق انت من هذا..

عاد الشيخ يصيح :

- بكل تأكيد وثقة فى اخوانى وعشيرتى و.....

بتر كلماته وقطب حاجبيه وبدا انه انتبه لأمر هام فغمغم وعلى وجه علامات التفكير العميق :

- مهلا ... انها المرة الاولى التى اراك فيها تتكلم وتتناقش معى بكل استفاضة ودون مقاطعة او الرد بكلمات مقتضبة و...

بتر عبارته مرة اخرى وابن الرئيس ينظر اليه بعيون ساخرة ..ثم هتف فجأة وقلبه يدق بقوة وانفعال:

- انت تخطط لشئ ما..

اطلق ابن الرئيس ضحكة شيطانية وهو يكرر ساخرا كعادته:

- أخطط !!... (ثم انقلبت ملامحه الى شراسة رهيبة وهو يستطرد) .. بل أنفذ..

شحب وجه الشيخ وقد ادرك ان هناك امر خطير يحدث لجماعته بينما وقف ابن الرئيس وراح يعقد الزر الاوسط من حلته الانيقة وهو يقول بمزيج من الحزم والحسم وبمنتهى القوة والصرامة:

- لقد حان الوقت لاعادة الشريط اللاصق الى افواهكم..

اتسعت عينا الشيخ فى فزع واضح ثم سأله فى قلق :

- ماذا تقصد؟؟

اجابه ابن الرئيس وهو يتجه الى نافذة حجرة مكتبه:

- الاجهزة الامنية تقوم الان بحملات اعتقالات واسعة وفى آن واحد ضد جميع زملائك.. الكبير منهم والصغير..

انتفض الشيخ فى مكانه وتلاحقت انفاسه وهو يهتف بكل انفعال وعصبية :

- هذا تصعيد خطير تنهار امامه كل اتفاقياتنا معكم..

صاح ابن الرئيس فى لامبالاه ساخرة وهو يتأمل المشهد خارج نافذة مكتبه:

- ومن يهتم؟

عاد الشيخ يهتف فى ثورة:

- سأستغيث بالمرشد العام فى مصر .. سأستغيث بالعالم العربى .. سأطلب الحماية من قطر ولندن وواشنطن.. سنحرك ضدكم الرأى العام والبرلمان..

التفت ابن الرئيس اليه وقال بسخريته المعهودة وهو يعود الى مكتبه متجاهلا ما قاله:

. لقد كان اتفاقنا على ٢٠ مقعد وانتم حصلتم على ٣٠ مقعد بنسبة ٢٥% من اجمالى اعضاء البرلمان ويتبقى ٧٥% من اعضاءه كلهم يتبعون الحزب الحاكم وكلهم تابعون لى ..

ثم ضغط زرا صغيرا بطرف مكتبه وهو يستطرد فى شراسة وشماتة:

- اى أنكم مازلتم صفر على اليسار.. لا قيمة لكم..

وهنا ظهر ثلاث رجال أمن أشداء احاطوا بالشيخ الذى راح يتبادل مع ابن الرئيس نظرات نارية يملؤها التهديد والوعيدالى ان صاح والامن يصطحبه الى الخارج:

- ستدفع الثمن غاليا..

رد ابن الرئيس ساخرا:

- لقد مللت هذه العبارة التى يكررها الكثيرون دون ان يكون لديهم القدرة على تنفيذ حرف واحد منها..

وبعد ان خرجوا جميعا عاد ينظر من نافذة مكتبه الى ساحة القصر متأملا المشهد بالخارج فى هدوء عجيب..

*****

(٥) العنيد

فى مساء نفس اليوم..

وداخل احدى الطائرات المتجهة الى دولة من دول الغرب البعيد كان يجلس الصحفى وبجواره زوجته التى نظرت اليه متأملة ملامحه الحزينة فقالت له:

- لا داعى لكل هذا الحزن يا زوجى العزيز..ولنعتبر كل العالم هو وطننا..

نظر اليها قائلا:

- وماذا أفعل فى عشقى لبلادى ..ماذا افعل فى انتمائى لبلادى.. (ثم اشار الى ولده الصغير النائم بجوارهما) ...ماذا اقول لأبنى عندما يسألنى عن بلده؟

أجابته بشئ من الحزم:

- البلد التى تبكى من أجلها ..طردوك منها.. فلا داعى للتفكير فيها ولنبدأ حياتنا من جديد فى اى مكان فى العالم..

هز رأسه قائلا فى حزن هائل:

- يا ليتنى فارقت الحياة قبل ان ارى بعينى ما يحدث لى ولبلادى..

قالت زوجته:

- دعنا من كل ذلك ولتستمر حياتنا كما كانت من قبل وانت تستطيع ان تصبح مدربا كفؤا فى اى دولة باعتبارك كنت من ابطال الرياضة فى الماضى..

هز رأسه مرة أخرى وهم ان يقول شيئا لولا ان انتبه الى ذلك الخبر المنشور فى تلك الجريدة التى يتصفحها المسافر الجالس على مقربة منه.. فإلتفت الى زوجته هاتفا:

- هل احضرت جرائد الغد معك؟؟

أجابته زوجته فى دهشة:

- نعم ..لقد صدرت طبعاتها الاولى قبل سفرنا بدقائق.. (ثم مدت يدها داخل حقيبتها الكبيرة قائلة) ها هى ذا....

أختطف احدى الجرائد واخذ يمر بعينيه على مانشيتات صفحاتها حتى استقرت عينيه على خبر ما.. قرأ سطوره فى سرعة وهتف:

- يا لهم من مخادعون ..يا لهم من كاذبون.. (ثم التفت الى زوجته مستطردا فى ثورة مكتومة) لقد نشروا خبرا عنى يقول اننى وافقت على بنود عقد عمل كمستشار اعلامى فى احدى الجامعات العالمية وان عملى الجديد هذا يتطلب ان اكون خارج البلاد لسنوات طويلة.. كما ذكروا اننى قررت اعتزال الكتابة لأجل غير مسمى..

فقالت زوجته:

- وما الذى يضايقك فى هذا الكلام؟؟ انت خارج البلاد بالفعل.. والله اعلم متى سنعود ..فما يضيرك من هذا الخبر..

هدأت ثورته فجأة وقد اكتشف بالفعل صحة منطقها وانه لا مبرر لرد فعله هذا..

فاغلق عينيه وأمال رأسه الى الخلف وتركته زوجته واغلقت عيناها هى الاخرى وقد تصورت ان زوجها سيذهب فى نوم عميق.. و..

ولكن ..

كان عقله مثل البركان النشط وأعماقه مثل الامواج الثائرة...

وكيانه يطرح سؤال واحد.. كيف يمكن ان يحيى شعب بأكمله على اكاذيب ينشرها النظام من كل جانب.. و...

وفجأة..

أعتدل فى مقعده ..وأخرج هاتفه الخلوى وسط ذهول زوجته ووضعه على اذنه بعد ان ضغط على ازراره بتتابع منتظم ثم متجاهلا تساؤلات زوجته الحائرة ثم تحدث عبر الهاتف قائلا فى حزم:

- مرحبا بأشهر مذيع فى الوطن ..هل عرفتنى؟؟.. جيد.. لا ..لا غير صحيح كل ما قرأته ..لذلك سأظهر معك غدا فى برنامجك الشهير لكشف حقائق مثيرة جدا جدا ..نعم ..معى مستندات.. حسنا الى اللقاء..

هتفت زوجته:

- ماذا تقصد بكل ذلك؟؟

هتف هو فى حزم هائل:

- سأعود يا زوجتى ..اذهبى انتى وولدى.. وابقوا هناك.. اما انا فسأعود مع اول طائرة عائدة..

فلقد قررت ان اواجه الموقف بأكمله وان اكشف الحقائق مهما كان الثمن ..ومهما كانت التضحيات..

هتفت زوجته مرة أخرى قائلة:

- ولكن ..انت .....

قاطعها فى صلابة شديدة:

- سأعود ..

*****

تصاعدت رنة هاتف أرضي بجوار ابن الرئيس فتناول سماعته بسرعة ووضعها على أذنه بدون أن يقول كلمة واحدة ..

لحظات واتسعت عيناه فى دهشة وهو يتراجع فى مقعده قائلاً فى ذهول شديد:

- ماذا تقول؟؟ .. هل عاد بالفعل ؟

ثم قطب حاجبيه وهو يقول فى حدة آمرة :

- القى القبض عليه فورا..

ثم انهى المكالمة وظهر على ملامحه غضب هائل وهو يضرب سطح مكتبه بقبضة يده قائلاً:

- عنيد .. أحمق .. غبي..

ثم تناول هاتفه المحمول من أمامه وضغط ازراره ثم وضعه على أذنه وبعد لحظات هتف قائلاً للطرف الثاني من المكالمة :

- مرحباً بوزير الداخلية .. لقد عاد الوغد ..

نقل الهاتف صوت وزير الداخلية وهو يزفر فى حنق قائلاً :

- نعم .. علمت هذا ..

هتف ابن الرئيس بلهجة حاسمة:

- لقد أمرت مدير أمن المطار بالقبض عليه فورا ..

قال الوزير فى مزيج عجيب من التوتر والقلق والغيظ الواضح :

- ولكن .. ولكنه بحسب آخر تقرير له اتصل بمذيع مصرى شهير وأخبره بضرورة عقد لقاء تليفزيونى معه داخل المطار..

قطب ابن الرئيس حاجبيه وهو يقاطعه :

- الوغد الخبيث ..

ثم استطرد فى حزم وبلهجة آمرة :

- اعلن حالة الطوارئ القصوى بالمطار وامنع دخول طاقم القناة لدواعى امنية ...

بدا صوت وزير الداخلية مترددا قليلاً وهو يقول:

- ولكن أخشى ان ..... أقصد ان الصحافة ووكالات الانباء وشبكات التواصل الاجتماعى و...

صرخ ابن الرئيس بصوت اكثر حدة وهو يقاطعه مرة اخرى:

- فليذهب كل هذا الى الجحيم .. (ثم انخفض صوته وهو يستطرد بشراسة رهيبة) .. اسمع .. اننى اكره التردد والخوف فى العمل ولا احب المجادلة فى الاوامر.. فاما ان تتصرف الان او سيكون قرار عزلك جاهزا خلال دقائق.. افهمت ..

هتف وزير الداخلية بصوت مرتجف اقرب الى الضراعة :

- لا يا سيدى.. ارجوك .. حسنا سأتصرف.. ولتنسى امره تماما من الان..

رد ابن الرئيس فى صرامة قاسية :

- هذا ما أريد ان اسمعه..

وفى عصبية شديدة انهى ابن الرئيس المكالمة الهاتفية قائلا فى غيظ ومقت واضحين:

- ايها الوغد العنيد .. لقد أعطيتك فرصة ذهبية لن تتكرر للخروج الآمن ولكنك لا تستحقها .. فلتدفع اذن ثمن تحديك لى غاليا..

*****

بدا الاهتمام الشديد على وجه ابن الرئيس وهو جالسا خلف مكتبه الفاخر ينظر بجدية الى شاشة الكمبيوتر المحمول الخاص به والتى يظهر فيها صورة وجه رجل فى نهاية العقد الخامس من عمره يحمل ملامح غربية ببشرته البيضاء التى تميل الى الاحمرار وشعره الناعم الاشقر قائلا لابن الرئيس عبر نظام الفيديو كول وبلغة إنجليزية ذات لكنة امريكية واضحة :

- علاقتنا بالاخوان لا تتعدى مقابلات ولقاءات روتينية هدفها الابقاء على قنوات اتصال معهم حتى يتم التعاون معهم فى الوقت المناسب..

قطب ابن الرئيس حاجبيه وكرر مغمغا وعلى ملامحه تفكير عميق:

- التعاون معهم فى الوقت المناسب !! ..

قال السيناتور بضيق واضح:

- هم قوة عالمية من الخطأ تجاهل وجودها .. وما فعلته أنت يعد خطوة تصعيدية خطيرة ستضر بك كثيرا.. وكان يجب ان تفكر قليلا فى قرارك أو تستشيرنى..

اعتدل ابن الرئيس فى مجلسه وهو يقول ثقة زائدة:

- قرارى قرار صائب جاء فى وقته للحد من انتشارهم وتسللهم الى اجهزة الدولة للتجسس علينا..

رد السيناتور وهو يهز رأسه نافيا:

- بل هو قرار ليس من المناسب تنفيذه الان .. خاصة بأننا نرصد حالة من الغليان فى الشعوب العربية عامة وربما تحتاج اليهم مرة اخرى..

عاد ابن الرئيس يغمغم ويردد متأملا الكلمة:

- احتاج اليهم !! .. (ثم نظر الى السيناتور وهو يتساءل مستطردا بلهجة ذات مغزى) .. هل لدى الادارة الامريكية معلومات تخفيها عنى؟؟

تنهد السيناتور وهو يقول موضحا برصانة دبلوماسية:

- نحن نحاول قراءة الواقع للاستعداد للمستقبل .. وانت كرجل فى بداية حياتك السياسية لا ينبغى ابدا خسارة اى قوة سياسية على الساحة خاصة الاخوان.. (صمت لحظة وبعدها استطرد) ..اتفاقك الذى تم معهم كانت نقطة جيدة فى ملفك السياسى وكان يجب ان تحافظ على حالة الهدوء والسلام الذى كان بينكما خاصة ان نسبة هجومهم عبر وسائل الاعلام المختلفة على نظامكم كانت قد وصلت الى ادنى المستويات وهو ما جعلك تتفرغ الى بعض الامور السياسية الاخرى التى تدعم موقفك كرئيس قادم .. اما قرارك الاخير هذا فاتصور بانه سيزيد من احتقان الشارع لديك تجاه كل ما يرتبط بك..

قال ابن الرئيس بثقة وقوة :

- فى استطاعتى السيطرة على اى جماعة قد تمثل تهديدا لمستقبلى كرئيس للبلاد..

لاحت ابتسامة على وجه السيناتور وهو يقول فى اعجاب:

- تعجبنى دائما ثقتك فى نفسك وثباتك وقوتك امام كافة المواقف.. (ثم اختفت الابتسامة عادت الجدية الشديدة الى لهجته وهو يستطرد) .. ولكن يجب ان تكون حريصا وحذرا وان يكون لديك ضمانا دائما بان خيوط اللعبة كلها بيدك..

ارتسمت ابتسامة صغيرة على فم ابن الرئيس وهو يقول :

- لا تقلق يا عزيزى السيناتور .. (ثم تنهد وهو يستطرد) .. وبالمناسبة سأسافر اليكم خلال يومين لاجراء بعض الفحوصات الطبية وزيارتكم فى مبنى الكونجرس..

صاح السيناتور بترحاب واضح:

- مرحبا بك ضيفا مميزا للولايات المتحدة الامريكية ..

قال ابن الرئيس وهو يهز رأسه فى امتنان:

- أشكرك جدا ..سيناتور ..

قال السيناتور وهو ينهى مكالمة الفيديو:

- اراك قريبا ..

وما ان انتهت المكالمة واختفت صورة السيناتور حتى تبدلت ملامح ابن الرئيس وقطب حاجبيه وهو يفكر فى عمق بكل كلمة نطق به السيناتور..

وكل حرف..

*****

(٦) السيدة الاولى..

بعد عدة اسابيع .. داخل القصر الرئاسي..

ألقى رئيس الوزراء فى تلك الدولة النامية نظرة سريعة على ساعته وعلى وجه يظهر القلق والتوتر وهو جالس داخل حجرة سكرتارية السيدة الأولى بالقصر الرئاسي ثم إلتفت الى السكرتير الخاص بها قائلاً له فى ضيق :

- لقد تأخرت كثيراً .. إن وقتي ثمين .. ولدى مهام كثيرة ..

ابتسم السكرتير وهو يقول بلهجة دبلوماسية :

- أعتذر بشدة .. ولكنها الأوامر .. فقد أمرت سيادتها بعدم رحيلك بعد إنتهاء لقاءك مع رئيس الجمهورية .. وإنتظارها لمناقشتك فى أمر هام وعاجل ..

هز رئيس الوزراء رأسه متفهماً وعاد يلقى نظرة اخرى الى ساعته فى الوقت الذى تصاعدت فيها أبواق سيارات الامن والحراسة فإنتفض السكرتير واقفاً هاتفاً:

- ها قد وصل موكبها ..

زفر رئيس الوزراء فى إرتياح وما هي إلا لحظات قليلة حتى ظهر فريق من حراستها الخاص وهو ينتشر فى المكان ويصطف من الجانبين حتى وصلت مكتبها الرحب الفسيح وقبل أن تجلس قالت لسكرتيرها بلهجة آمرة وبصوت صارم :

- أدخل رئيس الوزراء فوراً..

دلف رئيس الوزراء بخطوات سريعة الى مكتبها بعدما أبلغه السكرتير وجلس أمامها وساد الصمت لدقيقة كاملة كانت تلقى نظرة سريعة على بعض التقارير..ثم رفعت رأسها اليه قائلة بشئ من الحدة ودون كلمة ترحيب واحدة :

- لقد قرأت الموازنة العامة للدولة للعام القادم .. ولي تساؤل واحد (ثم ازدادت حدتها وهي تضيف) لماذا قمت بتقليص ميزانية القصر الرئاسي الى هذا الحد الكبير؟

تأملها رئيس الوزراء للحظة ثم قال وقد بدا أنه معترضا على سؤالها:

- لقد ناقشت الرئيس فى هذا الشأن ..وقد أبدى موافقته ..

هتفت وسط نظراتها النارية :

- وأنا أسألك ؟ .. فهل أنت معترض على سؤالي؟

تنهد رئيس الوزراء ثم اعتدل محاولاً الحفاظ على انفعاله قائلاً :

- ليست المسألة مسألة إعتراض يا سيدتي .. فمن حقك أن تعلمي لماذا اضطررت لذلك ..

قالت فى صرامة واضحة :

- بالضبط .. أريدك أن تتذكر دائماً أنه من حقي أن أعلم كل شئ..

تأملها رئيس الوزراء مجدداً ..فقد كان يتمنى لو ينفجر فى وجهها ويصرح لها بأنه ليس من حقها شئ طالما رئيس الدولة موجوداً وحياً يرزق ..

ليس من حقها أن تتدخل هكذا وبكل جراءة وفظاظة فى شئون الدولة العليا..

نعم هى السيدة الأولى ..

ولكن...

قاطعت أفكاره وهى تقول فى سخرية لاذعة :

- ليس أمامي اليوم كله لتتكلم ..

فتنهد وهو يقول :

- حسناً .. الدولة تعاني يا سيدتي من أزمة حقيقية ..لذلك كان لابد من اتخاذ بعض الاجراءات التقشفية حتى يمكن توفير الأموال اللازمة وتوجيهها

الى المجالات الخدمية والتى تحتاج دعم بصورة عاجلة مثل الصحة والتعليم و....

قاطعته مرة أخرى قائلة :

- ولم تجد سوى ميزانية القصر الرئاسي لتكمل ذلك العجز..

هتف مستنكراً :

- ليست ميزانيته وحدها يا سيدتي .. بل ميزانيات كافة الوزارات ..فالجميع لابد أن يشارك فى هذه الاجراءات التقشفية ..

عاد الصمت يسود للحظات ثم قالت :

- هل تعلم أن وفداً من صندوق النقد الدولي من المقرر أن يأتي لزيارتنا الأسبوع القادم وسيبقى لمدة ثلاثة أيام ..

أومأ برأسه قائلا فى إقتضاب :

- نعم أعلم ..

فأضافت قائلة :

- وإجراءاتك هذه ستمنعني من القيام بتقديم واجب الضيافة المثالي لهم ..

نظر إليها فى دهشة قائلاً:

- سيدتي إنني أتكلم عن صالح الوطن..

هبطت بقبضتها على سطح مكتبها وهى تقول فى غضب مكتوم :

- وأنا أيضاً أتكلم عن صالح الوطن..

كتم رئيس الوزراء حنقه البالغ وهو يقول:

- حسناً .. إننى أرى أنه ليس هناك أى داع لكل هذا البذخ المفرط من استيراد طعام الثلاث وجبات من المطاعم الفاخرة بأوروبا وشراء هدايا فخمة باهظة التكاليف لهم وكذلك ..

قاطعته محذرة :

- إحذر.. لقد تعديت حدودك في الكلام معي..

(توقفت باقي كلماته فى حلقه بينما تابعت هى) رضائهم هذا سيعمل على دفع عجلة المفاوضات بيننا وبينهم من أجل القرض الذى وبالتأكيد سيساعدك فى دعم ما تريده للخدمات المقدمة للشعب ..

حاول استجماع شجاعته وهو يقول :

- وهل رضائهم هذا لابد أن يأتي على حساب مصلحة الشعب .. ما ستدفعه الدولة لهم خلال اقامتهم من الممكن أن نستفيد به نحن فى الـ.

لوحت بيدها مقاطعة :

- انتهت المناقشة .. وإجراءاتك التقشفية هذه مرفوضة ...

حاول أن يرد عليها ولكنه نهض صامتاً وخرج من مكتبها وهو يضم شفتيه فى غيظ مكتوم..

واستسلام لا مفر منه ..

*****

ظهر الضيق على وجه السيدة الأولى وهى تتصفح عشرات رسائل البريد الواردة للقصر الرئاسي وبدا أنها تبحث عن شئ محدد ولكنها زفرت فى حنق وهى تتناول هاتفها الخلوي من أمامها وتبحث عبره عن قائمة الاسماء المسجلة ثم تضغط زر الاتصال وهى تتضعه على احدى اذنيها وتنتظر لحظات بعدها تهتف بلهجة قوية :

- مرحبا بوزير الثقافة .. اريدك في مهمة عاجلة .. نعم .. نعم .. اعلم انك ستغادر البلاد بعد ساعة متجها الي باريس لحضور المؤتمر الدولي لثقافات الشعوب ... اريدك وانت هناك ان تذهب الي احدي بيوت الازياء العالمية

هناك واسمه (بيار كاردان) وأسألهم لماذا تأخروا فى إرسال احدث تصميماتهم لملابس السهرة .. لقد تأخروا كثيرا... حسناً .. شكراً ..

ثم أنهت اتصالها والتفتت الى احدى الهواتف القابعة بجانبها ورفعت سماعة احداها قائلة فى اقتضاب آمر:

- أريد وزير الاسكان حالا..

وما أن وضعت سماعة الهاتف حتى رن هاتف آخر بجوارها فإبتسمت ابتسامة خفيفة وكأنها تعلم من على طرفه الأخر ومدت يدها بسرعة لترفع سماعته هاتفة :

- مرحبا بزوجي العزيز... حسنا ... ساحضر الي مكتبك حالا..

وفى سرعة نهضت من مكانها واتجهت الى ذلك الباب الفاصل بين غرفة مكتبها ومكتب سكرتيرها الخاص الذى هتفت به :

- أنا ذاهبة الأن الى مكتب الرئيس ..قم بإبلاغي فور وصول وزير الإسكان.

ثم واصلت سيرها عبر ردهات وممرات القصر فى خطوات واثقة ونظرات يملؤها التعالي والغرور لكل من قابلتهم أثناء ذهابها حتى وصلت الى مكتب الرئيس لتدخله على الفور بينما هو كان يتحدث فى هاتفه الخلوي قائلاً لأحدهم :

- نعم اريدك بعد ساعة ومعك حقيبة بها ثلاثة ملايين دولار.. (ثم استطرد فى صرامة) .. لا أريد تسجيلهم فى أى مستند رسمي.. بالطبع تفهم ما أقصده ..

ثم أنهى اتصاله بينما سألته هي فى فضول وسط ابتسامة هادئة:

- ما قصة هذه الملايين ؟

تأملها قليلاُ بوجه خال من الانفعالات ثم قال:

- انها قصة طويلة دعك منها .. واخبريني ..الا تنتهى خلافاتك بينك وبين رئيس الوزراء؟..

قطبت حاجبيها فى غضب قائلة :

- من الواضح انه اشتكي لك مثل الاطفال الصغار..

ضحك هو فى رصانة قائلاً :

- لا تأخذي الامور بهذا الشكل يا عزيزتي .. الرجل يقوم بواجبه علي اكمل وجه..

هزت رأسها قائلة :

- علي العكس انني أراه أحمق وغبي .. لا يعرف كيف يدبر أموره بعكس وزير المالية مثلاً ..

تنهد وهو يقول فى صوت بدا عليه الضيق :

- سبق ان ذكرت لكى بأن تدخلك بهذا الشكل يسبب لي حرجاً شديداً ..

عادت تهز رأسها نافية مدافعة عن موقفها:

- وانا السيدة الاولى ..ويجب علي الجميع ان يتفهم أنني أحاول مساعدتك .. اننا مسئولين عن دولة كبيرة .. اعبائها كثيرة .. وشعبها لا يكف ابدا عن المطالب..

اكتسب صوته بعض الصرامة وهو يسأل:

- وهل المساعدة تستوجب ان تلغي بعض البنود الهامة في الموازنة العامة؟

قالت فى عناد واضح :

- تلك الموازنة يجب ان يتم مراجعتها مرة اخري..

قال فى سرعة وبشئ من العصبية :

- ولكن تمت مراجعتها فعلا وقمت باعتمادها ايضاً..

قالت فى استنكار:

- هل هذا يعني انك جعلته ينتصر علي ؟

لانت ملامحه وهدأ صوته وهو يقول بصوت أشبه الى الهمس :

- يا حبيبتي .. نحن لسنا في معركة لكي يكون هناك منتصر ومهزوم..

عاد العناد الى صوتها وهى تهتف:

- ولكنني ارفض ان نقلل من ميزانية الرئاسة الي الحد الذي ذكر في الموازنة..

ضحك هو ضحكة قصيرة ثم قال :

- يا عزيزتي يوجد ألف طريقة لتعويض الفارق .. فلا تقلقي..

عادت الابتسامة الى ملامحها وهي تسأله :

- هل الثلاثة ملايين دولار التي تكلمت عنهم منذ قليل لهم علاقة بالأمر..

هز رأسه نافياً :

- لا .. لا .. إنها مخصصة لأمر آخر هام وعاجل ..

سألته فى إهتمام وفضول :

- هام الي درجة انك لا تريد تسجيله في اي مستند رسمي..

أومأ برأسه قائلاً:

- نعم .. (ثم هتف محاولاً انهاء الكلام فى هذا الموضوع) .. وهذا يكفي..

هتفت فى اصرار عجيب:

- ولكنني أريد أن أعرف..

تأملها للحظات قصيرة .. وأعماقه تؤكد بأنها لن تتركه دون أن تعرف

فزفر فى استسلام وقال :

- حسناً .. انها هدية لأحد الرؤساء فى تلك الدولة الصغيرة بالحدود الجنوبية حتي لا يوافق او علي الاقل يعرقل تنفيذ احد المشروعات العملاقة في بلاده قد تضر باقتصادنا وبمستقبلنا بطريقة مباشرة..

قالت :

- اذن هي رشوة وليست هدية..

أومأ برأسه قائلاً :

- بالضبط .. هذا هو التعبير المناسب..

وهنا تصاعدت طرقات خافتة على باب غرفة مكتب الرئيس الذى هتف بلهجة آمرة قوية :

- أدخل ..

فإنفتح الباب ليظهر على عتبته سكرتيره الخاص قائلاً بلهجة يملؤها الإحترام والرهبة ودون أن يخطو خطوة واحدة للداخل :

- أعتذر على هذا الإزعاج فخامة الرئيس .. ولكن وزير الإسكان ينتظر السيدة الأولى فى مكتبها ..

فنهضت هي قائلة وسط ابتسامة واسعة :

- حسناً .. سأذهب الأن .. ألقاك على العشاء ..

أومأ برأسه صامتاً .. وعقب خروجها من مكتبه تناول جهاز التحكم عن بعد من أمامه وقام بتوجيهه الى شاشة تليفزيون ضخم حديث وضغط زراً أحمر مميزاً به لتضاء الشاشة وتنقل بثاً لقناة شهيرة متخصصة فى الأفلام الاجنبية .. وتعلقت عيناه فى الفيلم المعروض ..

بكل استمتاع .. وهدوء..

*****

(٧) الحاكمة

- مرحباً بك يا سيدتي ..

قالها وزير الاسكان وهو ينحني الى الامام نصف انحناءة مستقبلاً السيدة الأولى التى عادت الى مكتبها قائلة بإقتضاب شديد وهى تشير له بالجلوس وتجلس هى مكانها خلف مكتبها الفخم :

- مرحباً .. (ثم أخرجت هاتفها الخلوي وضغطت عدة ازرار به ثم وضعته على أذنها وبعد برهة هتفت للطرف الأخر بنفس اللهجة الآمرة الصارمة).. وزير المالية .. أريدك فى مكتبي حالاً لأمر هام ..

(انهت المكالمة وإلتفت الى وزير الاسكان تسأله فى سرعة)

- ما هي أخبار القصر الخاصبابني ؟ .. ومتى يكون جاهزاً ؟.. خاصة بانه سيعود خلال شهر من رحلته الطويلة بأمريكا وفرنسا..

ظهر الارتباك قليلاً على وجه وزير الاسكان وهو يقول :

- الحقيقة إن العمل يجري على قدم وساق .. ولكن ..

ظهر عليه التردد فهتفت هي فى صرامة :

- ولكن .. ماذا؟

فقال هو :

- مازالت الاعمال الداخلية تحتاج الى وقت أكثرو..

هتفت مقاطعة اياه فى خشونة :

- وقت أكثر .. ماذا يعني هذا ؟ لقد تأخرنا عن الجدول الزمني المحدد لإستلام القصر.. فماذا حدث؟

صاح الوزير فى لهجة أقرب الى الضراعة :

- صدقيني يا سيدتي .. إننى اتابع كل صغيرة وكبيرة فى هذا القصر من مكتبي و..

قاطعته مرة أخرى قائلة فى حسم :

- واضح أن هذا لا يكفي .. (ثم مالت إلى الامام وهى تستطرد فى صرامة عجيبة وبلهجة آمرة مخيفة) .. يجب أن تذهب إلي هناك وتتابع تنفيذ كافة الاعمال الداخلية والخارجية بنفسك .. امامك ثلاثة أسابيع فقط .. وتسلمني القصر كاملاً جاهزاً..

اتسعت عيناه وهو يهتف فى دهشة :

- ثلاثة أسابيع .. ولكن هذا يعني أنني سأقيم هناك ويعني أيضاً ابتعادي عن مهام الوزارة وجدول أعمالها والمتابعات والزيارات الميدانية كل هذه المدة ..

هتفت قائلة فى لامبالاه :

- كل شئ يمكن تأجيله .. المهم أن يكون القصر جاهزاً بعد ثلاثة أسابيع .. (ثم أضافت بصوت يحمل رائحة التهديد) ..وأى عيوب أو اخطاء ستظهر ستكون أنت المسئول أمامي وستدفع الثمن غالياً وقتها..

تطلع اليها للحظات ثم نهض من مكانه وخرج من حجرة مكتبها..

دون أدنى أعتراض ..

وبإستسلام تام ..

أيضاً ..

*****

- مرحباً بك يا سيدتي ..

قالها وزير المالية وهو ينحني الى الامام نصف انحناءة داخل مكتب السيدة الأولى والتى وعلى عكس الباقيين نهضت من مقعدها خلف مكتبها واستقبلته بترحاب شديد قائلاً له وعلى وجهها ابتسامة واسعة :

- مرحباً بوزير المالية .. مرحباً بمنقذي ..

فقال وزير المالية وسط ابتسامة صغيرة :

- وأنا رهن إشارتك يا سيدتي ..

أشارت له بالجلوس وهى تجلس بدورها فى المقعد المقابل له قائلة :

- بالطبع قرأت بنود الموازنة العامة الجديدة للدولة..

أومأ برأسه قائلاً:

- بالطبع يا سيدتي ..

لوحت بيديها قائلة فى حنق بالغ :

- وبالطبع وافقتم جميعكم على بنودها ..

هتف هو وكأنه يحاول التنبيه الى أمر معين :

- بعد موافقة فخامة الرئيس ... نعم .. وافقنا بالاجماع..

نظرت إليه بنظرة خاصة وهى تقول :

- إذن فأنا فى ورطة ..

إبتسم هو ومال إلى الأمام وهو يقول:

- ليست هناك ورطة .. فأنا أعلم ما الذى يزعجك فى هذه الموازنة .. وكالعادة لدي الحل البديل ..

تهللت أساريرها قائلة فى سعادة واضحة :

- أحقا؟... كنت أعلم أنه من المستحيل الاستغناء عنك مهما قام الرئيس بتغيير الحكومات ..(ثم استطردت فى جدية متساءلة) .. ولكن ما هو الحل ؟ .. هل ستقوم بفرض ضرائب جديدة مثلاً ..

قال والابتسامة لا تفارق وجهه:

- فرض ضرائب جديدة سيستغرق وقت كبير للغاية .. ولكن هناك حل سريع وبسيط جداً .. سأقوم غداً بنشر إعلان بجميع الصحف القومية أعلن فيه عن توافر فرص عمل بالحكومة فى كل الوزارات .. ووقتها سيتقدم الملايين من الشباب والرجال والنساء لسحب استمارة التوظيف التى ستكون مقابل مبلغ محدد .. وفي خلال أسبوع على الأكثر سيكون لدينا مبلغ مالي محترم سأضعه رهن إشارتك ..وبالتأكيد سيعوض العجز فى مصروفات القصر الرئاسي..

تأملته فى إعجاب واضح ثم هتفت :

- ولكن هل يوجد لدينا وظائف شاغرة بالفعل؟

أجاب فى بساطة :

- لا .. ولكن من الممكن توفير بعض الوظائف القليلة حتى نكون واقعيين أمام الرأي العام ..

تنهدت قائلة وسط ابتسامة مشرقة ملأت ملامحها:

- لا أعرف كيف أشكرك .. أنت داهية بالفعل ..

قال فى خبث واضح :

- فلتشكريني بصورة عملية ..

سألته :

.هل تريد نسبة من المبلغ الذى سيتم جمعه؟

ضحك قائلاً :

- لا .. لا ..

عادت تسأله :

- ولكن هذا حقك .. فأنت صاحب الفكرة ..

قال هو فى امتنان :

- أشكرك يا سيدتي ..ولكن أريد منك خدمة صغيرة .. .. (ثم استطرد فى جدية ممزوجة ببعض الضيق) ..فرئيس الوزراء مع الأسف وبدون استشارتي قام بتوقيع صفقة لحوم سيتم استيرادها من إحدى دول الجنوب بسعر أرخص كثيراً من اللحوم التى يقوم بإستيردها بعض رجال الاعمال من دول اوروبا .. وهذا يعني بأن الخراب والخسارة ستحل عليهم فى حال إتمام هذه الصفقة ..وأنتي بالتأكيد لا ترضين لهم بذلك ..

قالت فى سرعة :

- حسناً .. أعتبر هذه الصفقة ملغاه .. وسأقنع الرئيس بذلك ..

عادت الإبتسامة على وجهه وهو يقول :

- أشكرك جزيل الشكر يا سيدتي ..

فإرتسمت ابتسامة غامضة خبيثة على وجهها وهي تقول:

- فلتشكرني بصورة عملية ..

اتسعت ابتسامته أكثر وهو يقول:

- كلنا تحت أمر السيدة الأولى..

سألته :

- كم دفعوا لك من أجل إلغاء هذه الصفقة..

قال فى إقتضاب :

- مبلغ محترم ..

قالت فى حسم :

- حسناً .. نصف هذا المبلغ لي..

ظهر التردد على وجهه للحظة واحدة ثم قال مكرراً :

- كلنا تحت أمر السيدة الأولى..

ثم خرج سريعاً من غرفة مكتبها دون إضافة كلمة واحدة ..

أو حتى لمحة إعتراض..

*****

بعد مرور اسبوعان..

بدت ملامح رئيس الوزراء غارقة فى التفكير العميق وهو يجلس فى مكتبه داخل مبنى رئاسة الوزراء فى حين تأمله نائبه قاطباً حاجبيه قائلاً:

- سيدي .. إنك تبدوا منذ فترة مهموماً قلقاً وصامتاً أغلب الاحيان.. فماذا بك؟

نظر إليه رئيس الوزراء فى صمت ثم تنهد وهو يقول وكأنه يحادث نفسه:

- عندما توليت رئاسة الحكومة كانت لدي رغبة قوية فى إصلاح كل ما أفسدته الحكومات السابقة ولكن .. (صمت قليلاً ثم تابع) .. ولكن الفساد مثل الوحش الكاسر لابد من تضافر كافة الجهود لمحوه من حياتنا.. وللأسف أصبحت الأن أشعر بأنني أعمل بمفردي .. معظم الوزراء لا يريدون الإصلاح .. أصبح كل ما يشغل بالهم العمل على ضمان استمرارهم فى مناصبهم مهما كان الثمن .. الفساد أصبح عنوان آدائهم .. اصبح كل همهم هو أن يكون الحاكم راضياً عنهم بصرف النظر عن مدى كفاءتهم فى إدارة شؤون الدولة .. (صمت مرة أخرى ثم أضاف) .. حتى الحاكم نفسه أصبح غير مهتماً بما يجرى من حوله تاركاً كل شئ فى يد زوجته وابنه .. أصبحنا جميعاً نعمل لخدمتهما

وتنفيذ مطالبهما بدلاً من خدمة الشعب الذي بدأت تنتشر داخله الاضطرابات والاعتصامات والمظاهرات من أجل نيل حقوقهم المشروعة فى ظل هذا النظام الفاسد الذى نحيا فيه ..

تمتم نائبه :

- سيدي .. ما تقوله خطير للغاية ..

قال هو فى حزم :

- ما أقوله هو الحقيقة مع الأسف.. لذلك ...

عاد الصمت الى المكان لبرهة قصيرة بعدها نهض رئيس الوزراء من خلف مكتبه وعلى وجهه علامات الحسم وهو يقول فى قوة :

- سأذهب إلى الرئيس .. حالاً ..

فسأله نائبه فى دهشة:

- ماذا تنوي أن تفعل؟

قال رئيس الوزراء فى حزم وهو يلملم الأوراق والتقارير التى تملئ سطح مكتبه ويضعها فى حقيبته الجلدية :

- سأتكلم معه فى كل شئ .. وبصراحة تامة .. و... (ثم استطرد فى حسم بالغ) ..وستكون إستقالتي فى جيبي..

إتسعت عينا نائبه في ذهول:

- إستقالتك ..

لم يرد عليه رئيس الوزراء الذى غادر مكتبه فى سرعة بالغة متجهاً الى هناك ..

إلى القصر..

*****

(٨) جدار نارى

- مرحباً بك يا سيدتي ..

قالها وزير الثقافة وهو ينحني الى الامام نصف انحناءة داخل مكتب السيدة الأولى التي سارعت قائلة له :

- ماذا فعلت؟

قال الوزير:

- بعد بحث ومجهود غير عادي فى فرنسا وللأسف بلا فائدة .. نجحت أمس فى توقيع عقد مع بيت من بيوت الأزياء فى إيطاليا على تصميم ثلاث فساتين سهرة بتكلفة إجمالية ٥ ملايين دولار بخلاف الإكسسوارات الخاصة بكل فستان..

هزت رأسها غير راضية وهي تقول :

- فى ايطاليا ... كنت اتمنى أن اتعاون مع بيت من بيوت الأزياء الفرنسية .. ولكن من الجيد أنك تصرفت هكذا ..

ابتسم قائلاً :

- نحن رهن إشارتك يا سيدتي ..

سألته فى حيرة واضحة :

- ولكن ما السر وراء هذا الموقف الغريب من بيوت الأزياء الفرنسية..

تردد وزير الثقافة للحظات فقالت هي :

- أنت تعلم شيئاً بالتأكيد ..

أومأ الوزير برأسه وهو يقول :

- نعم يا سيدتي .. ولكني لا أريد أن أزعجك بهذا الموضوع ..

صاحت بلهجة آمرة :

- قل ما لديك ..

فقال الوزير:

- فى الحقيقة رجالي اكتشفوا السر وراء موقف بيوت الأزياء الفرنسية .. وهو أن إحدى الأميرات العربيات دفعت لهم مبالغ تتراوح بين مليار الى ثلاثة مليارت من الدولارات كي تقتصر هذه البيوت على تصميم فساتينها هي دوناً عن باقي زوجات رؤوساء العالم العربي وخاصة سيادتك..

هتفت فى غضب واضح :

- هل بلغت بهم الغيرة والحقد إلى هذا الحد ..

هز رأسه قائلاً :

- للأسف يا سيدتي .. هي تعلم مدى قوتك وحضورك القوي فى كل المحافل الدولية واحترام الجميع لسيادتك ..لذلك ليس لديها سوى تلك الخطط الرخيصة.. و....

توقف الوزير عن متابعة كلماته عندما ارتفع صوت سكرتيرها الخاص عبر جهاز الاتصال الذى يربط بينهما قائلاً :

- أعتذر يا سيدتي على إزعاجك .. ولكن وزير البترول هنا يريد أن يقابلك لأمر عاجل وهام جداً على حد قوله..

فهتفت وهى تضغط زرا خاصاً بالجهاز:

- أدخله فوراً ..

ثم التفتت الى وزير الثقافة قائلة :

- إذهب أنت الأن .. وسنكمل حديثنا فيما بعد ..

تردد الوزير للحظة ثم قال فى خفوت :

- ولكن يا سيدتي كنت أود ان أتحدث بشأن ما سمعته عما حدث أمس فى إجتماع مجلس الوزراء و.....

قاطعته فى صرامة :

- سنتحدث فيما بعد ....

تحرك وزير الثقافة صامتاً بعدما ابتلع باقي كلماته واتجه الى باب غرفة المكتب فى نفس الوقت الذى دخل فيه وزير البترول والذى بدت على ملامحه القلق والتوتر الشديدين لدرجة أنه تجاهل مرور زميله بجانبه وبعد ان تأكد من غلق باب الغرفة عليهما هتف فى خوف واضح:

- كارثة .. كارثة يا سيدتي..

سألته فى برود لا يتناسب مع إنفعاله :

- ماذا حدث؟

قال ودقات قلبه تتسارع من الانفعال :

- الشرطة البريطانية ألقت القبض على الخبراء الأربعة الذين تعاونوا معنا فى آخر صفقة..

اتسعت عيناه بشدة وهي تقول وقد انتقل توتره الى صوتها :

- كيف هذا ؟

قال:

- لا أعرف كيف .. ولكن المهم أن التحقيقات ذكرت إسمي وإسم سيادتك وإسم نجلك بصفتنا أننا قمنا ببيع أسرار تخص حقول البترول التى لدينا الى هؤلاء الخبراء الذين إستخدموا هذه المعلومات السرية فى تسهيل إرساء ٤ منقاصات على شركة بريطانية واحدة بصورة مخالفة وغير شرعية

للتنقيب عن البترول فى بلادنا ..كما ذكروا أننا حصلنا بالمقابل على مبلغ ٧٠ مليون دولار لكل منا..

إزدادت علامات القلق على ملامحها للحظات ثم حاولت أن تكون متماسكة هى تقول:

- وماذا فى ذلك .. ليس هناك دليل واحد يثبت صحة كلامهم ..

هتف الوزير:

- بالتأكيد ..ولكن مجرد ذكر أسماءنا سيؤثر علينا دولياً بصورة أو بأخرى.. خصوصاً أن الشرطة البريطانية قامت بمخاطبتي أنا ووزير الداخلية رسمياً بشأن أن نتعاون معهم ونرسل إليهم صور من جميع المستندات التى تخص تلك الشركة البريطانية وتفيد فى القضية..

نهضت من خلف مكتبها واتجهت بخطوات بطيئة الى النافذة الكبيرة التى تطل على فناء القصر ثم تقف أمامها وتنظر منها وتسأله دون أن تلتف إليه :

- من ابلغك بكل ذلك؟..

قال فى عصبية وإنفعال :

- المحامي الخاص بهم وهو يؤكد انهم معرضون للغرامة والفصل من عملهم وقد تقرر المحاكمة منعهم من مزاولة مهنتهم داخل بلادهم لفترة قد تمتد لسنوات طويلة..

إلتفتت إليه قائلة فى ثبات وحزم:

- حسنا .. ساجعل المحامي الخاص بي يتولي الأمر ..ساجعله أيضاً يسافر اليهم واي غرامة سنقوم نحن بدفعها مهما كانت اما مسألة فصلهم هذا فمن السهل استقدامهم هنا للعمل كمستشارين لدينا وباجور اضعاف ما كانوا يحصلون عليها في بلادهم..

زفر الوزير فى ارتياح واضح :

- هذا جيد .. جيد جدا.. وبالتأكيد سينال رضاهم..

تأملته للحظات ثم قالت بلهجة قوية :

- اطمئن ولا داعي لكل هذا القلق الذي يظهر علي وجهك .. حاول ان تكون متماسكا اكثر من ذلك..

أومأ برأسه ثم قال :

- وماذا بخصوص ما حدث أمس فى إجتماع مجلس الوزراء و...

قاطعته مرة أخرى وهى تلقي نظرة الى فناء القصر من خلال النافذة :

- لا تقلق بهذا الشأن .. (ثم غمغمت فى خفوت وهى تضيف) .. فرئيس مجلس الوزراء يكتب شهادة وفاته بنفسه ..

لم يسمع جملتها الأخيرة ولم يجرؤ على أن يسألها ماذا كانت تقول بينما صاحت به بلهجة آمرة دون أن تلتفت إليه :

- اذهب انت الأن ..

وبالفعل غادر سريعاً وبينما هي تتأمل فناء القصر حتى شاهدت سيارة فاخرة تأتي مسرعة لتقف أمام البوابة الرئيسية الداخلية للقصر..

كانت تعلم أن هذه السيارة تخص رئيس الوزراء..

لذلك إبتسمت ابتسامة عجيبة وهى تتمتم :

- مرحباً بك ..

فى نفس اللحظة التى صعد فيها رئيس الوزراء درجات سلم القصر واتجه فى خطوات واسعة حازمة ليعبر ردهته الرئيسية دون أن يرد تحية كل من يقابله وفى الدور الثاني للقصر وبينما يسير داخل احدى الممرات التي تؤدي الى غرفة مكتب الرئيس حتى ظهرت هي أمامه فجأة معترضة طريقه ..تسأله فى قوة :

- إلى أين أنت ذاهب؟

أجابه فى سرعة حاسمة :

- إلي الرئيس

عادت تسأله فى إقتضاب :

- لماذا؟

أطلت من عينيه نظرات تحدى واضحة وهو يجيب :

- لدي موعد معه الأن..

أعادت سؤالها بصوت بدا كفحيح الثعبان:

- لماذا؟

أجابها فى برود :

- لمناقشته في بعض الأمور الهامة..

سألته مرة أخرى ببرود مماثل:

- وما هي؟

زفر فى ضيق واضح وهو يجيب :

- أمور تخص صالح البلد والشعب..

تأملته للحظة واحدة ثم سألته :

- وهل هناك ما يمنع ان اعرفها؟

هتف هو فى غضب مكتوب :

- سيدتي .. انا رئيس الوزراء وعندي لقاء عاجل مع رئيس الجمهورية .. وأعتقد أن هذا يكفي..

ثم هم بالتحرك من أمامها إلا أنها عادت وإعترضت طريقه فى تحد مستفزقائلة:

- هل تتصور ان ما حدث أمس في اجتماع مجلس الوزراء ولقاءك مع الرئيس الان سيغير من شئ..

كان يدرك في أعماقه أن كلماتها صحيحة .. ولكنه أجاب :

- سأحاول

ثم ابتعد عنها بخطوات قليلة فصاحت به :

- محاولتك لا جدوي لها..

توقف هو وقال لها دون أن يلتفت إليها :

- علي الاقل أكون قد نلت شرف المحاولة..

عادت تهتف بلهجة متسائلة :

- وبعدها..

إلتفت إليها هذه المرة قائلاً:

- ستعلمين بعد انتهاء اللقاء..

سألته فى لهجة شبه ساخرة :

- أعلم ماذا؟

أجابها فى حسم :

- قراري النهائي..

عقدت ساعديها امام صدرها وهى تقول:

- من حسن حظك ان ابنى فى مهمة طويلة خارج البلاد .. وبالتأكيد كان سيكون له تصرف اخر معك..

قطب حاجبيه غاضبا وهو يتأملها ثم قال بصوت قوى :

- هل تعتقدين بأنى اخشاه أو تقلقنى مواجهته..

ردت بلهجة لاذعة :

- فلندع التجربة تحكم ..

تبادلا معا نظرات نارية واكتفى بالصمت وهو يتركها ويبتعد بخطوات سريعة ليواصل سيره الى مكتب الرئيس..

بينما عادت تلك الابتسامة العجيبة لتملأ وجهها ..

إبتسامة من تعلم تماماً أن نتيجة كل ما يجرى سيكون لصالحها ..

ووفق ما تخطط له ..

تماماً ..

*****

(٩) الرئيس

استقبل رئيس الجمهورية رئيس وزراءه فى مكتبه قائلاً له وسط ابتسامة باردة :

- مرحبا مرة اخري برئيس الوزراء..

أشار له الرئيس بالجلوس فجلس وهو يقول :

- مرحبا يا سيدي اعتذر علي ازعاجك..

تنهد الرئيس وهو يقول :

- لا بأس .. ففي كل الأحوال كان لابد أن أقابلك اليوم ونتناقش قليلاً ..

قال رئيس الوزراء فى حزم واضح :

- سيدي .. أعلم انه وصل إلى علمكم ما حدث بالامس ولكني لن أتحدث عنه .. وإنما سأتحدث عن مستقبل دولة وشعب..

أشار الرئيس بيده وهو يقول فى اقتضاب :

- حسنا .. قل ما لديك..

صمت هو للحظات قليلة ليستجمع أفكاره ثم قال :

- هناك سؤال دائما كان يشغل تفكيري .. وهو لماذا لا نتقدم وننهض وننمو لنكون في مصاف الدول الكبري .. وعندما توليت رئاسة الوزراء واقتربت أكثر من صناع القرار وفي أول يوم في منصبي جاءتني احصائية موثقة من الأقل الى الأكثر تؤكد أننا نحتل الترتيب رقم ٩٣ من١٣٣ دولة اجريت علي مؤسساتها المالية والأساسية ١٦ مسحا دقيقا عن معدلات الفساد والتأكد من شفافية المعاملات المالية للقطاع الحكومي والخاص .. وهو رقم مرتفع جدا وترتيب خطير في هذه القائمة..

هز الرئيس كتفيه فى لامبالاه قائلاً فى برود :

- هذه احصائية مغلوطة ولا تعترف بها دول كثيرة..

فقال هو فى سرعة :

- هذا لا ينفي ابداً في انني رصدت وقائع وشبهات حول حصول مسئولين كبار وبعض من المقربين لسيادتكم علي رشاوي وحصص مجانية تصل الي ٥٠٪ في رأس مال كبري الشركات التجارية والصناعية وهو ما أدت الي تعرض هذه الشركات لخطر الأفلاس والإنهيار واضطرارهم الي الاستغناء على نسبة كبيرة من العاملين بها مما اسهم في زيادة معدلات البطالة وارتفاع معدلات الكساد في أسواقنا ..

احتقن وجه الرئيس بشدة ونظر اليه فى غضب واضح ولكنه كتم كل ذلك وقال له متسائلاً:

- وماذا ايضاً؟

إندفع هو يضيف:

- لدي أدلة بأن هناك وزراء ثبت تورطهم بإستغلال نفوذهم للاستيلاء علي اراضي وممتلكات الغير وبتلقي عمولات ورشاوي بمئات الملايين فضلا عن التهريب والمتاجرة بكل شئ بطرق غير مشروعة بالاضافة الي وجود كبار موظفين في الدولة يجمعون بين اكثر من وظيفة حكومية في وقت واحد يحصلون منها علي الاف الجنيهات وبعضهم منقطع عن عمله ومع ذلك يحصل علي كامل راتبه بالحوافز والارباح وللأسف تحميهم قوانين ولوائح داخلية تعيق عمل النيابة الادارية في التحقيق والمحاسبة وتوقيع العقاب علي المخالف أو المهمل أو المخطأ.. (ثم صمت قليلا وبدا متردداً ولكنه استطرد يتابع) اسمح لي يا سيدي بالتكلم معك بصراحة تامة..

صاح الرئيس به وبصوت مرتفع غاضب:

- صراحة تامة .. أكثر من ذلك .. اذن ستتسبب في ازعاجي واثارة اعصابي مثلما حدث امس مع معظم الوزراء خلال اجتماع الحكومة امس والذي تحول الي عراك وفوضي..

ظهر الانفعال على وجه رئيس الوزراء وهو يقول:

- لقد تحدثت معهم وواجهتهم بتقارير عن اداءهم بالحكومة خلال الفترة الماضية تضمنت مخالفات يندي لها الجبين..

مال الرئيس أمامه يسأله بلهجة قاسية :

- وهل من المنطقي ان تشكل لجنة سرية لمراقبتهم دون علمي؟ .. هل من المنطقي ان تتجسس علي رجالك ورجالي؟

اجابه هو فى ثبات وقوة :

- سيدي انني في حالة حرب مع الفساد .. ويحق لي ان استخدم كل الطرق والاساليب للوصول الى ....

قاطعه الرئيس فى غضب متزايد :

- ليس بهذه الطريقة ابداً .. لقد تجاوزت كل حدودك هذه المرة .. (ثم هدأ فجأة وهو يستطرد) ..مشكلتك انك مثالي جدا .. تتصور ان حياة المدينة الفاضلة يمكن تحقيقها علي الأرض..

رد عليه رئيس الوزراء فى ثبات :

- وهل العدل والمساواة اصبحا لا يتحققان الا في الأحلام..

فقال له الرئيس :

- افكارك هذه لا تصلح مع السياسة ابداً..

نهض رئيس الوزراء ودس يده فى جيبه ليخرج منه ورقة مطوية ناولها الى الرئيس قائلاً فى حسم قوي:

- اذن .. ارجو قبول استقالتي..

مد الرئيس يده ليأخذ الورقة قائلاً :

- وأنا قبلتها..

ثم اشاررئيس الوزراء الى حقيبته قائلاً:

- هذه الحقيبة تحمل كل الادلة والمستندات التى تثبت ما قلته .. وأتصور أنها لم تعد تلزمني فى شئ..

سأله الرئيس متجاهلاً ما ذكره:

- ما خطتك لمستقبلك؟

تنهد رئيس الوزراء وقد ألمه تجاهل الرئيس للحقائق فقال والحزن يتساقط من كلماته:

- سأرحل من هنا الي أي بلد آخر..

قال له الرئيس :

- لا يهمني الوجهة .. (ثم اضاف فى جدية شديدة تحمل مغزى خاص) .. ولكن الاهم ان تصمت تماما فهذا افضل لك وللجميع..

أومأ رئيس الوزراء وتحرك مغادراً ولكن قبل أن يفتح باب المكتب إلتفت الى الرئيس يسأله :

- وهل تعتقد أن الشعب سيظل صامتاً مستسلماً..؟

أجابه الرئيس فى سخرية :

- لا تقلق بشأن الشعب .. اتركه لنا ..

وكانت الاجابة كافية بأن يغادر المكتب على الفور ويتجه سريعاً الى سيارته..وقبل أن يفتح بابها شعر بشئ ما فى أعماقه ..وبصورة لا إرادية وجد نفسه يلتفت لينظر إلى أعلى ..إلى نافذة مكتبها ..والغريب أنها كانت تقف هناك ..تشاهده ..وتلوح له بالوداع ..ورغم بعد المسافة إلا أنه لمح تلك الابتسامة .. الابتسامة التى دائماً ما تغطي وجهها فى الفترة الأخيرة..ابتسامة شيطانية.. ابتسامة السيدة الأولي..

*****

- أخيرا .. لقد أقال رئيس الوزراء الذى كان بمثابة صداع دائم لنا ..

هتفت السيدة الاولى بكلماتها هذه عبر الهاتف الجوال وهى تخاطب ابنها الذى اتى صوته قائلا:

- كان لابد من اتخاذ هذه الخطوة منذ فترة طويلة .. ولكن مع الاسف دائما ما اجد نفسى مقيدا ومحاصرا بسبب وجوده فى حياتنا ..

قالت والدته بصوت يحمل بعض القلق:

-هجومك الدائم عليه فى الاونة الاخيرة يقلقنى بشدة..

صاح متسائلا وهو يحاول تغيير دفة الحديث لموضوع آخر:

- كيف حال البلاد والحكومة والحزب؟؟..

ادركت محاولته ومع ذلك اجابته :

- كل شئ يسير وفق ما نخطط له .. لا تقلق .. فأنا متواجدة بشكل دائم وأقوم بمتابعة كل شئ بنفسي .. (ثم تنهدت وهى تسأله مستطردة) .. ولكن قل لى .. هل رأيت العروس؟؟

اطلق ضحكة ساخرة وهو يجيب:

- نعم .. يا أماه .. نعم ..

ظهر الضيق فى صوتها اعتراضا على سخريته ولكنها عادت تسأله:

- وما رأيك؟

قال فى مرح واضح :

- لا يختلف اثنان على جمالها وحسنها .. (ثم استطرد فى جدية) .. انها اميرة بالفعل .. بكل ما تحمله كلمة أميرة من معان..

اسعدتها كلماته فصاحت :

- رائع ... رائع .. كنت أعلم بأنها ستنال اعجابك.. مبارك ان شاء الله .. سأسافر اليك خلال اسبوع..

هتف هو من الطرف الاخر قائلا وهو ينهى حديثه:

- حسنا.. أراكى قريبا..

صاحت تلاحقه قبل ان ينهى مكالمته :

- اسمع .. كنت اريد ان اطرح عليك سؤالا؟؟

ظهر الملل فى صوته وهو يسأل:

- وما هو؟؟

سألته فى جدية شديدة لأول مرة يسمعها من والدته :

- ألم تقلقك الثورات التى بدأت تنطلق فى البلاد العربية؟؟

قال فى لامبالاه واضحة:

- ولماذا يقلقنى هذا .. كل شئ تحت سيطرتى؟

قالت فى توتر:

- بل لابد ان نقلق .. الامر بدأ فى تونس ثم انتقل سريعا الى مصر .. والان ليبيا .. وهنا حالة من الاضرابات والاضطرابات والتمردات والمظاهرات تجتاح بلادنا..

هتف بصوت واثق متابعا لعبارتها:

- والامن لدينا يقوم بدوره على اكمل وجه..

عادت تقول فى مزيج من التوتر والعصبية :

- الاخوان ايضا يقومون بإثارة الشعب ضدنا ويتحركون على كافة المستويات..

زفر فى ضيق وهو يقول:

- هؤلاء الأوغاد .. رغم اعتقال جميع القادة والكبار الا ان صغارهم لا يملون ابدا .. (ثم استطرد فى شراسة وقوة واثقة) .. سأقوم بحملة اعتقالات اخرى بمجرد عودتى..

صاحت قائلة:

- حاول ان تعود سريعا لمواجهة اى تطور فى الاحداث..

رد سريعا:

- حسنا .. حسنا .. الى اللقاء..

ثم انهى المحادثة بينما ظل القلق والتوتر يسيطران على كيانها وفى اعماقها بكل قوة..

*****

(١٠) القصر الرئاسي ..

مارس ٢٠١١ .. ابان الثورات العربية..

بكل مرارة الدنيا راح ذلك الشاب يقطع شوارع المدينة ..بلا هدف ..بلا امل..

كانت أنفاسه متلاحقة ونظراته تائهة ..كان هناك مزيجا مريرا ينفجر بداخله كل لحظة ..مشاعر مختلطة من الغضب والثورة والمرارة واليأس والحسرة والاحباط ..كل ذلك يسيطر على أعماقه ..على كيانه ..على ملامحه ..و... توقف فجأة.. نظر أمامه وخلفه ..ثم انحرف يمينا متجها إلى البحر..وهو يتذكر ..يتذكر الخمس سنوات الماضية ..خمس سنوات كاملة وهو يعمل وينطلق ويبدع ويعلن موهبته للجميع ..خمس سنوات كاملة كان يحلم فى كل دقيقة بأنه سيصل إلى هدفه وان عليه ان يعمل ويبدع حتى يصل ..واجه الظروف والمصاعب ..تحمل المتاعب والتحديات ..قاوم الصراعات والخلافات ..حاول ان يثبت ذاته ..ويعلن وجوده ..خمس سنوات كاملة فى مهنته التى يحبها ..يحيا حياة مختلفة ..حياة أفرغ فيها كل مشاعره وانفعالاته واحزانه وأفراحه ..حتى أفكاره وأهتماماته ..حتى فلسفته الشخصية ..حتى امكانياته المادية ..كان فى خدمة مهنته ..كان يحلم ان يكون أميرا متوجا فيها ..ولكن....

مرت السنوات ومازال مكانه ..رغم كفاحه وجهاده طوال المدة السابقة مازال مكانه ..خمس سنوات يعطى ولم يأخذ شيئا ..ومازال اسما اضافيا فى قائمة البطالة والعاطلين ..حلمه لكى يكون أميرا لم يتحقق ،حتى انه لا يوجد أى بارقة أمل لكى يتحقق..

وصل إلى شاطئ البحر ..نظر إلى امواجه ..إلى الأفق ..ولأول مرة رائحة البحر المنعشة تتحول فى أنفه إلى رائحة من نوع آخر..رائحة الأهمال والفساد والفوضى وضياع الحقوق ..اهمال الأهتمام بالمبدعين من أمثاله ومحاربتهم والسخرية منهم ..وفساد الحياة العملية التى تعطى للمحسوبية والواسطة الكلمة العليا فى اتخاذ القرارات إلى ان تحول المجتمع إلى مجتمع قاتل للمواهب ..والفوضى تفشت فى كل شئ وفى أى شئ ..وضياع الحقوق بسبب فئة آكلو حقوق البشر ،الذين يستنزفون القدرات والابداعات ..يستنزفون ما فى الجيوب ..ثم يتركونه بإنتهاء المصلحة ..هكذا تحول إلى آلة ..مجرد آلة ..تعطى فقط ..دون ان يكون هناك تقدم عملى أو مادى ..ثم ينظر إليه الأخرون من فئة آكلو حقوق البشر بنظرة عجيبة وكأنه يرتكب جريمة عندما يطالب بحقه فى الكسب من ابداعه وموهبته ..ولقد كان من الممكن ان يتحمل كل ذلك فى سبيل الوصول إلى هدفه الأسمى ..لولا نظرة الحزن والآسى التى تطل دوما من عينى والده ونظرة المستقبل المنتظر التى تطل من عينى فتاة أحلامه ..بالإضافة إلى الظروف الاقتصادية الطاحنة والتى تتدهور كل ساعة تزيد الطين بلة ..وتجعل مستقبله ..فى طى المجهول .....

كان يمكن ان يتحمل ..ولكنه فى النهاية مجرد بشر ..وأصبح إبداعه وعقله ..وحتى جسده ..لا يملكون ذلك الحماس الدائم الذى كان عليه ....

ووسط دموع صامتة ..حطم أحلامه الكبيرة ..وبنى مكانها أحلاما صغيرة ..وأصبح كل تفكيره حاليا أن يكافح مرة أخرى للحصول على وظيفة تدر له دخلا يسمح له بالعيش فى مستوى آمن مطمئن..

وعند هذه النقطة من أفكاره ..كان يريد ان يصرخ فى وجوه الجميع .. لماذا؟؟ ..هل كل جريمته أنه موهوب؟ ..هل كل جريمته أنه مبدع؟ ..هل كل جريمته أنه يحلم؟؟ ..ها قد تحطمت الأحلام على أرض الواقع ..وطويت صحف الآمال وجف نهر الأمانى والطموحات ..و... وهنا ..

تبدلت ملامح الانكسار..

وكان القرار..

الغضب..

فأدار رأسه وتعلقت عيناه بالقصر الرئاسي الذى يقبع فوق ربوة عالية كاشفاً العاصمة كلها .. وانعقدت حاجبيه بشدة وتلاحقت انفاسه وفى تصميم واصرار وتحد تحرك مسرعا بخطوات قوية الى هناك ..

الى القصر.. و...

ولم يكن وحيداً ..

لم يكن وحيداً فى حنقه وغضبه ..

فبدون اتفاق أو إعلان ..

وجد نفسه وسط مئات الآلاف من المواطنين ..

شباب .. رجال .. سيدات .. مسنين ..

الكل خرج من مكانه .. من شارعه .. من صمته .. من يأسه ..

وفى شوارع المدينة كان الهتاف الموحد الهادر..

مطالبين بحقوقهم فى حياة ادمية كريمة

وتجمعت الحشود الضخمة الثائرة ..

والكل اتجه الى مكان واحد ..

القصر..

*****

اقتربت هليكوبتر حربية ضخمة من مهبطها المخصص لها داخل القصر الرئاسي وما أن حطت مكانها فى نعومة انفتح بابها الخلفى ليترجل منه اربع حراس عسكريون أشداء اصطفوا بسرعة وانتظام على جانبي الهليكوبتر حاملين اسلحتهم الآلية وعقب انخفاض هدير محركها هبط منها ابن الرئيس بقامته الطويلة وبدا متألقاً ببذلته السوداء الأنيقة ونظارته الشمسية الفاخرة وحقيبته الجلدية الثمينة .. وسرعان ما اتجه اليه ثلاث رجال آخرين كانوا فى انتظاره وبدون كلمة واحدة افسحوا له المجال ليتقدمهم ويعود الجميع الى داخل القصر..

وفى اقتضاب شديد قال ابن الرئيس وهو يعبر ردهة القصر بخطوات سريعة :

- أين هو ؟

اجابه احد الرجال الثلاثة الذين يتبعونه بلهجة يملؤها الاحترام والرهبة :

- فى حجرته ومعه الفريق الطبي ..

عاد ابن الرئيس يسأله :

- والحالة ؟؟

واجابه نفس الرجل السابق فى رد سريع :

- بشكل مبدئي .. خطيرة .. ولكن مازال طبيبه يقوم بعمله بشكل مكثف مع فريقه .

سارعه ابن الرئيسوالقى سؤاله التالي بنفس الصورة المقتضبة :

- ومتى حدث ذلك ؟

وهنا تحدث رجل آخر بصوت عميق مجيباً :

- منذ أن تلقى نبأ المظاهرات التى عمت البلاد مطالبة بإسقاطه وإسقاط النظام.

ألقى ابن الرئيسسؤاله بنفس السرعة المقتضبة :

- ومن أخبره ؟

رد عليه الثانى صاحب الصوت العميق :

- رئيس الديوان ..

وهنا دلف الى الجميع داخل مصعد خاص وضغط احدهم زر الصعود فتحرك بابيه ليتقابلان فى منتصفهوابن الرئيسيقول فى حسم صارم :

- حسابى معه سيكون عسيراً

وداخل حجرة نوم ضخمة فاخرة كان يرقد الرئيس على سريره الواسع فى حالة اعياء كامل وقناع التنفس الاصطناعي يغطى نصف وجهه وأجهزة طبية متعددة تتصل بجسده عبر انابيب خاصة وتصدر اصواتا منتظمة فى حين شاشتها تنقل قياسات الضغط والقلب والتنفس ويتابعها الفريق الطبي بترقب واهتمام شديدين يتوسطهم الطبيب الذى بدا واضحا انه أكثرهم خبرة وممارسة وهو يناقش معهم تقارير المتابعة.. وما ان دلف الرجال الاربعة الى الغرفة حتى التفت اليهم فإتجه اليه ابن الرئيس يسأله بدون أى مقدمات:

- ما الوضع الأن ؟

اجابه الطبيب فى أسف :

- صحة والدك حرجة للغاية .. وفى خلال الـ ٢٤ ساعة القادمة سيحدد فريقي الطبي ما اذا كان سنحتاج نقله للعلاج بالخارج أم لا ...

وفى نفس اللحظة وصل رجل خامس الى الغرفة استقبله الثلاثة والطبيب فى صمت مطبق بينما تجاهله ابن الرئيس الذى أومأ برأسه للطبيب متفهماً ثم اقترب من والده وأمسك بيده برفق شديد .. ففتح الرئيس عينيه ببطء ونظر الى ابنه الذى قال له بصوت يملؤه القلق :

- هل تريد قول شئ ما ..

هز الرئيس رأسه فى وهن وضعف فإلتفت ابنه الى الطبيب الذى هتف معترضاً:

- من الخطر رفع قناع التنفس الأن بالأضافة الى أن صحته لا تتحمل التحدث ..

تنهد الابن وهو يقول بحروف بطيئة ذات لهجة آمرة حاسمة :

- أريد دقائق معدودة ..

تردد الطبيب للحظات ولكنه وأمام اللهجة الآمرة تمتم فى عصبية مكتومة وهو يتجه الى الرئيس ويرفع قناع التنفس :

- حسناً .. خمس دقائق فقط ..

وما أن ابتعد القناع عن وجه الرئيس حتى اندفع فى صوت ضعيف وبمزيج من الغضب والألم :

- أنا .. أنا السبب فيما يحدث الأن فى البلاد .. تركتك تفعل ما تشاء وتنفذ سياساتك الفاشلة التى أدت بنا كلنا الى هذا الموقف المحرج ... ستتسبب لنا بالضياع .. (ثم اصابته نوبة من السعال الشديد فإقترب الطبيب فى جزع وقد حاول أن يضع قناع التنفس الاصطناعي على وجهه فأدار الرئيس رأسه بعيدا رافضاً القناع وهو يستطرد لاهثاً)

- لابد ... لابد من أن تقدم الحكومة استقالتها .. لابد من حل مجلس الشعب وحل الحزب الحاكم (ثم تتلاحق انفاسه بسرعة شديدة وهو يضيف) لابد .. لابد من اتخاذ اجراءات لتهدئة الاوضاع .. واجراء انتخابات رئا.....

قاطعه الابن عندما امتدت يده بسرعة شديدة لتضع قناع التنفس على وجه الأب قائلاً :

- أبى .. ما يهمنا الأن هو صحتك حتى تعود الينا .. ووقتها افعل ما تشاء..

وهنا .. ارتفعت اصوات مؤشرات الاجهزة الطبية وتصاعدت وتيرتها بسرعة شديدة فتحرك الفريق الطبي وانتشروا بين الاجهزة يرصدون قراءتها الجديدة فى حين صاح الدكتور بلهجة صارمة آمرة :

- أرجو من الجميع مغادرة الغرفة فوراً ..

وبدون كلمة واحدة اتجه الجميع الى الغرفة المجاورة وجلسوا جميعاً وتبادلوا نظرات ذات مغزى وتساؤل واحد ..

ماذا سيحدث ؟؟ ..

وبقى السؤال حائراً..

بلا إجابة ..

*****

(١١) اجتماع ...

رن الهاتف الجوال الخاص بإبن الرئيس الذى القى نظرة سريعة على شاشته ثم وضعه على أذنه وهو يضغط زر فتح الاتصال قائلاً :

- مرحبا يا أمي .. كيف حالك (ثم توقف للحظات تابع بعدها) .. لا .. لا تقلقي .. هناك فريق طبي كامل على أعلى مستوى موجود فى غرفته الان ويتابعه لحظة بلحظة ... لا ... لا داعي لقطع زيارتك الرسمية لبريطانيا .. سيثير هذا تساؤلات كثيرة .. لا داعي .. استمري فى جدول أعمالك بصورة طبيعية جداً .. وسوف اوافيكي بحالته كل نصف ساعة (ثم عاد الصمت يلف المكان للحظات قال بعدها) .. لا تقلقي يا أمي .. الشرطة تتعامل الأن بمنتهى الحسم مع كافة المتمردين وأنا مجتمع الأن مع رئيس الديوان ورئيس البرلمان والمستشار رئيس المحكمة الدستورية ورئيس الوزراء .. وبعد قليل سينضم الينا وزير الدفاع ومسئول الأمن القومي وسيكون كل شئ على ما يرام مع نهاية هذا اليوم العصيب ... حسناً ... سأعواد الاتصال بكِ بعد نصف ساعة من الأن .. آراك على خير..

ثم أنهى الاتصال ونظر بعيدا للحظات قائلاً وكأنما يحدث نفسه :

- يبدو أن الربيع العربي المزعوم يدق بابنا ..

ثم نظر الى الجميع مضيفاً :

- لم أكن أتصور أبداً أن التقليد من الممكن أن يصيب الشعوب .. البداية تونس ثم مصر ثم ليبيا ثم اليمن ثم .. ثم .. ثم يبدوا وأنه اصابنا الدور (وفى لهجة حاول ان يحافظ على ثباتها متسائلا) ما هى مقترحاتكم للخروج من الأزمة الراهنة ؟

اجابه رئيس الوزراء فى توتر:

- الحقيقة ان الشرطة تقوم بصد المتمردين بكل قوتها وامكانيتها ولكن الاعداد تتزايد بشكل كبير للغاية .. و...

صمت للحظة فتسائل الابن بوجه جامد :

- و.... وماذا ؟

إندفع رئيس الوزراء قائلا :

- الحقيقة يا سيدى أن القوة ليست هى الحل الوحيد لحل الازمة .. لابد أن يواكبها تحرك على جميع الاطراف ... مثل تنفيذ حزمة من الاجراءات الحاسمة والفعالة التى نكسب بها رضا الشعب .. و

قاطعه الابن متسائلا فى لهجة شبه ساخرة :

- هل تريد للحكومة أن تستقيل ؟؟

هتف رئيس الوزراء :

- لا .. لا .. ليس من الضرورة أن ..

وهنا قاطعه رئيس الديوان بصوت حاسم :

- بل من الضرورى اتخاذ هذا الاجراء وفوراً .. لابد من تنفيذ قرارات سيادة الرئيس..

ارتسمت شبح ابتسامة ساخرة على وجه الابن وهو يقول فى برود :

- أية قرارات ..

أجاب رئيس الديوان فى دهشة :

- القرارات التى اصدرها فى التو وهو على فراش المرض .. انها قرارات كفيلة بتهدئة الاوضاع و..

قاطعه ابن الرئيس فى خشونة وصرامة :

- كيف تجرأت وخالفت أوامري بخصوص عدم ابلاغ الرئيس بأى مشاكل قد تضر بسلامة صحته ..

احمر وجه رئيس الديوان وهو ينظر الى الابن ثم يقول بشئ من التحدي :

- لأننا فى موقف خطير يجب أن يعلمه الرئيس ويدرك ابعاده حتى يتخذ القرار المناسب .. ولم أقترف أى خطأ .. نعم .. أبلغت الرئيس .. لأنه الرئيس .. وهو المسئول الاول عن اعادة ترتيب الدولة داخليا..

قال الابن فى سخرية لاذعة :

- يبدوا أن ادراكك العقلي لم يستوعب من هو المسئول..

هتف رئيس الديوان :

- أعترض على هذا الاسلوب ..

صاح الابن :

- اعتراضك مرفوض .. وليس لدى أى وقت للمجادلة معك فأنت لم ولن تفهم أن الرئيس أصبح طاعن فى السن ولم يعد يتحمل مسئوليات السلطة..

قال رئيس الديوان فى حنق بالغ :

- للأسف أنتم تعاملتم معه على هذا الاساس لفترة طويلة حتى أصبح معزولاً عن شعبه.

وفى حركة سريعة رفع الابن يده أمامه قائلاً فى حسم وغضب :

- كفى .. أنت لم تعد تصلح للعمل معنا ..

رد رئيس الديوان وهو يدخل يده فى جيبه ويخرج ورقة بيضاء مطوية :

- لا داعي لكلماتك هذه .. استقالتي جاهزة .. (ثم وضعها فوق منضدة صغيرة على مقربة منه وإستطرد) واحب أن اقول لك حسب جدول أعمال

الرئيس أن هناك لقاء مع وفد ايطالي رفيع المستوى فى الثامنة مساء اليوم بالاضافة الى افتتاح مشروع تحلية مياه البحر صباح الغد ..

ثم استدار بجسده ليرحل فصاح الابن :

- الى أين أنت ذاهب ؟؟

التفت رئيس الديوان وعلى ملامح التساؤل وهو يقول :

- ألم تنتهي مهمتي ؟

قال الابن بحسم وصرامة :

- أثناء قدومي الى هنا اعطيت تعليماتي الى مدير الأمن بالقصر بألا يخرج أحد مهما كانت الاسباب إلا بأمر مباشر منى بالاضافة الى مراقبة كافة الاتصالات الصادرة والواردة وهى اجراءات الهدف منها عدم تسريب خبر مرض الرئيس ..هذا الى جانب مراجعة عملية تأمين القصر بشكل كامل فى حالة تعرضنا لأى هجوم محتمل..

ساد الصمت للحظات قال رئيس الديوان بعدها وهو يتنهد بعمق:

- حسناً .. سأنتظر فى مكتبي ..

ثم دار على عاقبيه مبتعدا بخطوات عصبية سريعة..

فلم يكن لديه ما يفعله..

سوى الصمت والخضوع والاستسلام ..

لأنه يعلم تماماً أن مواجهة الابن لن تكون أبداً فى صالحه ..

وقد تتعرض حياته للخطر..

أو بمعنى أدق ..

للقتل ..

*****

التفت الابن الى الموجودين قائلاً بلهجة تحدي مستفزة :

- هل لدى أى منكم اعتراض على أسلوبي ..

تبادل الجميع نظرات صامتة الى ان قال رئيس البرلمان فى صوت حاول أن يكون رصيناً :

- سيدى .. ليس هناك اعتراض على اسلوبك أو شخصك ولكننا فى موقف يحتم علينا جميعاً أن نتكلم فى أمور قد حان الوقت لمناقشتها دون أى حرج ..

حدجه ابن الرئيس بنظرات نارية وبدا وكأنه سينفجر فى وجه الجميع ولكنه اندفع فى غضب مكتوم :

- هل ستكلمنى أيضا عن المهاترات التى تفوه بها رئيس الديوان .. هل ستقول لى بأن والدي اصدر قراراته وعلينا أن ننفذها ..

وهنا هتف المستشار رئيس المحكمة الدستورية العليا :

- بالنسبة إلىّ الرئيس لم يقل شئ .. ولم أسمع شئ ..

التفت اليه رئيس البرلمان قائلاً :

- بالضبط .. (ثم عاد والتفت الى ابن الرئيس مكررا) بالضبط .. الرئيس لم يقل شئ لأنه كان مريضاً .. وفاقداً للوعي والإدراك ..

قال المستشار مكملاً :

- بلغة الدستور لديه مانع من ممارسة مهام وظيفته

نقل ابن الرئيس نظره بين رئيس البرلمان والمستشار وقد بدأ يفهم مغزى كلامهما فضاقت عيناه وهو يسأل :

- ماذا تقصدان بالضبط ؟؟

اندفع المستشار قائلاً:

- يقول الدستور فى هذه الحالة انه إذا استحال على رئيس الجمهورية أن يمارس مهامه بسبب مرض خطير ومزمن، يجتمع المجلس الدستوري وجوبا، وبعد أن يتثبت من حقيقة هذا المانع بكل الوسائل الملائمة، يقترح بالاجماع على البرلمان التصريح بثبوت المانع. يعلن البرلمان، المنعقد بغرفتيه المجتمعتين معا، ثبوت المانع لرئيس الجمهورية بأغلبية ثلثي أعضائه، ويكلف بتولي رئاسة الدولة بالنيابة مدة أقصاها خمسة وأربعون يوما رئيس البرلمان الذي يمارس صلاحياته .. وفي حالة استمرار المانع بعد انقضاء خمسة وأربعين يوما، يعلن الشغور بالاستقالة وجوبا وفي حالة استقالة رئيس الجمهورية أو وفاته، يجتمع المجلس الدستوري وجوبا ويثبت الشغور النهائي لرئاسة الجمهورية. .. وتبلغ فورا شهادة التصريح بالشغور النهائي إلى البرلمان الذي يجتمع وجوبا.

يتولى رئيس البرلمان مهام رئيس الدولة مدة أقصاها تسعون يوما، تنظم خلالها انتخابات رئاسية.

وإذا اقترنت استقالة رئيس الجمهورية أو وفاته بشغور رئاسة مجلس الأمة لأي سبب كان، يجتمع المجلس الدستوري وجوبا، ويثبت بالإجماع الشغور النهائي لرئاسة الجمهورية وحصول المانع لرئيس مجلس الأمة. وفي هذه الحالة، يتولى رئيس المجلس الدستوري مهام رئيس الدولة.

ارتسمت ابتسامة صفراء على وجه ابن الرئيس وهو يغمغم:

- هل تريدون التخلص مني ؟

صاح رئيس البرلمان مستنكرا:

- على العكس تماماً يا سيدي .. ولكنه الدستور ..

ضحك الابن ضحكة صغيرة ساخرة وهو يقول بتهكم :

- لم أكن أعرف اننا نطبق الدستور بهذه الصورة المثالية .

اعتدل المستشار فى مجلسه وهو يقول بجدية شديدة :

- صدقنا يا سيدى إننا فى موقف خطير .. وعلينا أن نفكر جيداً فى الخطوات القادمة .. التى لابد وأن تتفق مع نص الدستور حتى لا نزيد من الاحتقان فى الشارع ومن انتقادات العالم لنا ..

هتف الابن فى حدة هادرة :

- فليذهب أنتم والعالم الى الجحيم أما الشعب فيمكننى السيطرة عليه..

احتقن وجه المستشار وأراد أن يرد إلا أن رئيس الوزراء صاح قائلاً وهو ينظر الى هاتفه الخلوي :

- للأسف الأمور تزداد سوءا .. آخر التقارير من وزير الداخلية تؤكد بأن هناك مصادمات شرسة بين المتظاهرين ورجال الشرطة فى جميع الانحاء .. وهناك قتلى وجرحى من الجانبين وهو يحذر بأن امكانيات الشرطة الحالية لن تصمد أكثر من ٢٤ ساعة لو تصاعدت أعداد المتظاهرين ..

هتف الابن بمزيج من الحدة والحنق والغضب والازدراء ملوحاً بيده :

- فاشلين .. إننى أعمل مع زمرة من العجزة الفاشلين ..

احمر وجه رئيس الوزراء وهو يقول فى انفعال :

- سيدى .. انك ..

قاطعه الابن فى ضجر وهو يدير رأسه بعيدا عنهم قائلا :

- أتركوني الأن .. أريد أن أبقى بمفردي ..

تبادل الثلاثة النظرات الصامتة فى توتر واعتراض على اسلوب ابن الرئيس الذى لم يحترم أعمارهم وخبرتهم ومناصبهم ثم نهضوا فى وقت واحد والتفتوا جميعا مغادرين إلا أن رئيس الوزراء عاد وهو يقول بصوت مرتجف :

- ماذا عن الوفد الايطالي و..

عاد الابن يقاطعه بشئ من الغيظ والحنق:

- أبلغهم بأن الرئيس فى اجتماع مغلق ولن يقابل أحد أو يرد على هاتف أحد .. أما بخصوص الافتتاح غدا فأبلغ وزير الاعلام أن يقوم بعرض فيديوهات للمشروع وادماج فيديوهات اخرى قديمة للرئيس ودمجهما بإسلوب المونتاج المحترف .. (ثم اضاف محذرا بلهجة يملؤها التهديد) وإياك .. إياك أن يعلم أحد بمرض الرئيس .. (ثم نهض من مكانه وتحرك مبتعدا عنهم وهو يضيف دون أن يلتفت إليهم) وكما ذكرت من قبل لن يغادر أحداً هذا القصر إلا بإذن مباشر مني..

وغادر جميعهم الغرفة بينما اقترب من احدى النوافذ العملاقة التى تمتلئ بها الغرفة ونظر خارجها الى المدينة التى امتلأ سمائها بالأدخنة السوداء المتصاعدة من أعمال مقاومة الثوار لكافة الأساليب القمعية التى يتخذها الأمن ..

تنهد الابن بعمق وهو يقول فى قرارة نفسه :

- إننى أعرفهم جيداً .. اعرف كيف يفكرون .. وبماذا يخططون .. يريدون اقصائي من السلطة .. يريدون الاستيلاء على الحكم ..يريدون اعلان عجز والدى حتى يقيمون انتخابات رئاسية مبكرة وهم يعلمون جيداً أن الشعب لا يحبني ولا يريدنى .. التزوير فى وجودهم سيكون شبه مستحيل .. وهذا يعني أنه لابد من تنفيذ خطة عاجلة جدا لإبعادهم عن طريقي .. عن حلمي ..

ومستقبلي ..
وتشابكت الخطة ..
واتضحت ملامحها داخل عقله الشيطاني ..
واتخذ قراره ..
بدون أدنى تردد ..
وبلا رحمة ..

*****

(١٢) لحظات التحدي

بدأت الشمس تلقي بظلال غروبها على سماء المدينة المشتعلة فى كل مكان ..فى الوقت الذى عقد مسئول الأمن القومي حاجبيه فى توتر بالغ وهو يتجه بسيارته الى بوابة السور الضخم الذى يحيط بالقصر الرئاسي قائلاً لوزير الدفاع الجالس بجواره :

- من كان يتصور أن تنقلب الأوضاع فى هذا البلد الى الحد الذى نأتي فيه معاً متخفيين داخل هذه السيارة المتواضعة وبدون سائق خاص أو حراس..

تنهد وزير الدفاع وهو يقول :

- كل ذلك رد فعل طبيعي يا صديقي .. لقد حذرتهم فى أكثر من لقاء من نتائج سياساتهم ولكنهم لم يدركوا أو حتى يصغوا .. وجماعة الاخوان بارعون فى استغلال الفرص يحاولون اثارة المزيد من الثورة ليقدموا انفسهم كاختيار مثالى لقيادة البلاد..

أومأ مسئول الأمن القومي رأسه موافقاً وهو يستطرد فى حنق :

- كل هذا بسبب ابن مدلل مراهق تركوه يلعب بمقدرات وطن وكأنها لعبة يلهو بها كما يشاء . فحول وطن جمهورى الى نظام ملكى مستبد..

ثم التفت الى وزير الدفاع مكملاً :

- هل تعلم أننى وفى أكثر من لقاء معه كنت أفكر جدياً بإطلاق النار عليه وإنقاذ الوطن منه ..

ابتسم وزير الدفاع قائلاً فى رصانة :

- يبدوا أن خبرتك مازالت محدودة فى عالم السياسة .. تريد أن تطلق عليه النار هكذا .. بطريقة مباشرة ..

هتف المسئول :

- وقتها سأتحول إلى بطل ..

هز وزير الدفاع رأسه قائلاً :

- هذا ليس أسلوبك ..

قال المسئول :

- بالتأكيد .. ولا أسلوبك أنت ..

إستطرد وزير الدفاع :

- لهذا نحن أصدقاء ..

ثم عقد حاجبيه قائلاً فى حزم :

- استعد .. فأنت على موعد مع أسلوب جديد فى التعامل ..

حاول مسئول الأمن القومى ادراك مغزى هذه الكلمات وهو يبطئ من سرعة سيارته لتقف فى هدوء أمام مجموعة من العمالقة ضخام الاجساد يقفون امام بوابة القصر وكلا منهم يمسك مدفعاً آلياً ضخماً واحدهم يشير الى السيارة بالتوقف.. فى الوقت الذى تحرك أحد العمالقة ودار حول السيارة ثم أدخل رأسه عبر نافذتها وتأمل وجههما بمزيج من الشك والتحفز بعدها قال فى خشونة وهو يفتح باب السيارة بعنف:

- انزلا ..

اتسعت عينا المسئول فى دهشة مذهلة قائلا فى استنكار شديد :

- هل جننت يا رجل؟؟ إننى مسئول الأمن القومي وهو وزير الدفاع ..

أجابه العملاق ببرود مستفز:

- انها التعليمات ..

هم المسئول بالرد معترضا الا ان وزير الدفاع قال فى هدوء:

- ليست هناك مشكلة .. (ثم قال للمسئول مستطردا) من الأفضل أن ننزل.

ثم هبط من السيارة فى حين غادرها المسئول فى ضيق فى الوقت الذى قام فيه ثلاثة منهم بتفتيش السيارة بينما تقدم منهما عملاق آخر وفحص جسديهما بجهاز خاص ثم قال بصوت غليظ :

- الأسلحة ممنوعة كذلك الهواتف و.....

هتف مسئول الأمن القومي فى حدة :

- سلاحي معي أينما كنت ..

وهنا قال وزير الدفاع فى لهجة عسكرية قوية مع مزيج من الحزم والصرامة:

- أبلغ ابن الرئيس بقدومنا وقل له بالحرف الواحد بإننا نرفض هذا الاسلوب الوقح فى التعامل فإما أن ندخل بكرامتنا أو نعود ..

تبادل الجميع نظرات التحدي للحظات حتى رفع احد الحراس العمالقة جهازه اللاسلكي وهو يبتعد عنهم قليلا وبعد دقيقة كاملة عاد إليهم وهتف وهو يشير للحراس بلهجة آمرة :

- يسمح لهما بالعبور ..

عاد وزير الدفاع ومسئول الأمن القومى الى مكانهما داخل السيارة التى انطلقت عبر البوابة الى الطريق المؤدي للقصر والذى تحيطه الأشجار من الجانبين وفى قلق تساءل المسئول :

- ما الذى يحدث بالضبط ؟؟

أجابه وزير الدفاع فى سخط :

- رد فعل طبيعي لشخص لا يثق بأحد مثل رفضه أن نحضر اليه بالطائرة خوفاً من أن نقذف القصر بالصواريخ مثلا .. فهو غارق فى مزيج عجيب من الخوف والقلق والشك وسوء الظن والتعالي لذلك يأخذ احتياطات أمنية كثيرة ومبالغاً فيها لخوفه الشديد من الشعب وكلما ازداد ذلك فى أعماقه كلما تضخم هاجسه الأمني بالاضافة الى أنه يعلم جيداً أن الوطن يشهد ثورة حقيقية..

أومأ المسئول برأسه مستطردا وهو يثق بالسيارة أمام مدخل القصر الرحب :

- أوافقك الرأى .. فالأمن يحاول مقاومة مئات الآلاف من أفراد الشعب الذين يحاولون الوصول الى هنا .. لذا فهى مسألة وقت ..وستكون الجماهير الغاضبة على أبواب القصر مهما كلفهم هذا من دماء وشهداء ..

قال وزير الدفاع وهو يهبط من السيارة :

- لقد اتخذوا القرار.. ولا مجال للتراجع ..

وفى لهجة حازمة يملؤها الاصرار:

- المهم .. أننى لن اقابل الابن المدلل هذا .. وإنما اريد التحدث مع الرئيس..

نظروزير الدفاع إليه وغمغم والشك يتساقط من كلماته :

- أتمنى أن يكون واعياً لما يحدث الأن .. أتمنى أن يتخذ القرار المناسب لهذه المرحلة الحالية بعيدا عن تسلط ابنه .. أتمنى ..

وفى خطوات واسعة ووسط ترقب شديد من الحرس المنتشرين فى المكان دخل وزير الدفاع الى القصر بصحبة مسئول الأمن القومى وكان شعور غريب ينمو داخل أعماقهما بأن الساعات القادمة ستحمل الكثير والكثير من الاحداث والمفاجآت المذهلة .. والدامية ..

*****

بكلمات رصينة قال السيناتور موجها حديثه لابن الرئيس عبر الفيديو كول الذى ينقله جهاز اللاب توب الخاص بالثانى :

- لا تقلق .. أمريكا تدعم موقفك .. وأنا كعضو بارز فى الكونجرس اضمن لك استمرار وجودك على رأس السلطة فى دولتك.. شريطة أن تكون الامور كلها تحت سيطرتك أنت كما اعتدنا اثناء التعاون معاً طوال الثلاث سنوات الماضية..

قال ابن الرئيس بشئ من العصبية :

- بالتأكيد .. بالتأكيد ايها السيناتور .. ولكن الاعلام الغربي كله بدأ فى مهاجمتي.. و

هتف السيناتور :

- دعك من الإعلام .. فهم لا يملكون غير الكلمات فقط .. أما سياستنا تجاهكم فلن تتغير .. بل على العكس .. سنبذل قصارى جهودنا فى الحفاظ عليك. (ثم استطرد قائلاً) المهم الأن اذا عجزت عن حل أى مشكلة أبلغنا فورا.. فلدينا حلول لكل المشاكل التى قد تواجهك خلال الساعات المقبلة ..

قال الابن :

- شكراً لكم .. وانا اعاهدكم بأننى سأكون دائماً حليف قوى لكم فى المنطقة .. فالمهم عندى هو ارضائكم ..

هز السيناتور رأسه موافقاً وأغلق المكالمة المرئية بدون كلمة واحدة اضافية .. بينما زفر هو فى ضيق وهو يغمغم:

- بالتأكيد كانوا يعلمون ويخططون لقيام الثورات ويدركون ابعاد الموقف والامور ثم يدعون انهم تفاجئوا مثل الجميع .. سحقا لهم ..

ثم أغلق عينيه وشبك أصابع يديه أمام وجه وبدا انه غارقاً فى التفكير ثم تناول سماعة هاتف بجانبه وضغط عدة ازرار بتتابع منتظم وانتظر لحظة ثم هتف بلهجة صارمة :

- فليسمح بخروج رئيس الوزراء ورئيس البرلمان ورئيس المحكمة الدستورية العليا على أن يبعثوا بتقارير المتابعة كل ساعة مع التنبيه عليهم بعدم مخالفة أوامرى بشأن حالة الرئيس..

ثم أغلق الهاتف وفى نفس الوقت الذى رن فيه جهاز الاتصال الداخلي بجوار الابن لينبعث منه صوت يقول :

- سيادة وزير الدفاع هنا يا سيدى..

ضغط الابن زرا بجهاز الاتصال وهو يقول بلهجة آمرة قوية :

- ادخله فوراً

وما هى الا لحظات حتى دلف وزير الدفاع الى مكتب الابن الذى راقبه وهو يتجه اليه قائلاً له فى صوت خالي من أى تعبير ودون أن يقوم من مكانه كما تتطلب اساليب اللياقة فى استقبال الضيوف :

- مرحباً بوزير الدفاع ..

جلس وزير الدفاع أمامه وبدون أى مقدمات سأله فى لهجة قوية:

- أين الرئيس؟

سأله الابن فى برود مستفز:

- وأين مسئول الأمن القومي؟

أجاب وزير الدفاع بنفس الوتيرة المستفزة :

- أنه جالس مع رئيس الديوان

قال الابن ساخرا:

- رئيس الديوان .. رئيس الديوان الذى تمت اقالته منذ عدة ساعات ..

هز وزير الدفاع كتفيه فى لامبالاه بدون تعليق منه فاستطر الابن متسائلاً:

- أليس من المفترض ان نكون الأن فى اجتماع ثلاثي ؟

رد وزير الدفاع فى حزم واضح:

- من المفترض وفى هذا الموقف المتأزم أن يكون الأجتماع مع رئيس الجمهورية وليس رئيس حزب..

احمر وجه الابن وهو يقول بشئ من العصبية :

- رئيس الحزب الحاكم .. والرئيس القادم رغم أنف كل المعارضين.

سأله الوزير:

- حسناً وماذا اذا كان الشعب كله فى قائمة المعارضين ؟

تراجع الابن بظهره الى الوراء قائلاً:

- لا تقلق من الشعب .. يمكنني السيطرة عليه عاجلاً أم آجلاً.. ما يهمني الأن هو أنت وجنودك..

ضاقت عينا الوزير وهو يسأل :

- وماذا تريد من الجيش؟

تنهد الابن وهو يجيب :

- دعني أوضح لك أمراً هاماً .. فرغم دعم الدولة وبلا حدود لجهاز الشرطة إلا أن الأمر الأن يفوق قدرتها العددية بكثير ويحتاج الى تدخل من أفراد الجيش لفرض الأمن والسيطرة ..

ووسط ابتسامة ساخرة مريرة قال الوزير:

- الجيش ..(ثم استطرد فى جدية بالغة) للأسف لقد أهملتم تسليح وتحديث الجيش رغم أننى أعترضت على ذلك مراراً وتكراراً وذكرت فى تقاريري طوال فترة وجودى فى منصبي كوزيرا للدفاع بأنكم ترتكبون خطأ فادح سيدفع ثمنه الشعب والوطن.

أشار الأبن اليه قائلاً :

- زمن الحروب التقليدية انتهي .. فلماذا اجهد ميزانية الدولة بصفقات سلاح سيكون مكانها المخازن وسيصيبها الصدأ من عدم الاستخدام.

وأكمل الوزير مستنكراً:

- وفى المقابل يكون لجهاز الشرطة نسبة كبيرة من الميزانية وذلك لضمان فرض السيطرة وقمع أكبر وأعنف للحريات وبناء المزيد من السجون والمعتقلات الرهيبة العلنية والسرية منها أيضاً .. أليس كذلك .. ثم .. ثم لماذا تنظر الى الجيش بهذه النظرة الضيقة الغير منطقية؟؟ .. ان للجيش دور شريف وضروري للدفاع عن الوطن ضد أى غازي أو محتل..

انعقد حاجبا الابن وهو ينظر الى الوزير بنظرات نارية قائلاً:

- أنت تكرهني .. وتكره سياستي وأسلوبي فى العمل .. (ثم استطرد فى حزم) ولكن من الواضح أنك تجهل أيضاً أن النظام العالمي الحالي قائم على التحالفات .. فنحن وفى خلال فترة قصيرة اصبحنا حليف أساسي لأمريكا .. أقوى دولة فى العالم ..

هتف الوزير فى تساؤل بلهجة ذات مغزى :

- وما المقابل؟؟

اجابه الابن :

- الدفاع عن المصالح الامريكية فى المنطقة مقابل منح ومساعدات بلا حدود نستفيد منها جميعاً.

قال الوزير فى لهجة حازمة قوية النبرات:

- المساعدات لا تبني وطن حر..

قال الابن فى سرعة :

- ولكنه يبقيه حياً يعيش فى سلام ..

هتف الوزير فى حزم أقوى:

- تقصد يعيش عبداً لا يملك قراره .

رد الابن فى حدة :

- كلماتك هذه هى التي لا تبني وطن .. افكارك هذه لم تعد تصلح فى ظل نظام رأسمالي عملاق لا يعرف العواطف وكلمته العليا هي المصلحة ..

لوح وزير الدفاع بيده قائلاً:

- وما حدث الأن هو تعارض المصلحة التى تسعى اليها مع ارادة الشعب .. فكانت النتيجة الثورة ..

ابتسم الابن وهو يقول فى استهتار:

- تقصد ما يدور خارج القصر.. انه تقليد .. مجرد تقليد أعمى لثورات الخريف العربي..

اعتدل الوزير فى مكانه والتصق صدره بحافة المكتب وهو يقول بمزيج عجيب من الحزم والصرامة والمرارة :

- وأنهار الدماء التى تسيل بالخارج ..والشهداء الذين يتساقطون كل دقيقة ..وزهرة شبابنا الذين تم القاء القبض عليهم ويصرخون الان جراء حفلات التعذيب التى تقام على اجسادهم الطاهرة ..وأنت جالس هنا فى مكانك تضيع وقتي ووقتك فى اثبات صحة سياساتك الفاشلة التى أضاعت هذا الوطن .. بل وتريدنى أن اشارك فى هذه المهزلة التاريخية ..

صمت الابن للحظات تبادل فيها نظرات نارية يملؤها التحدى مع وزير الدفاع وبدا انه سينفجر فى وجهه الا انه تماسك وهو يقول فى هدوء:

- هل تعلم يا وزير الدفاع ..فى كل مرة أحاول أن أقوم بعزلك من وظيفتك كنت أتراجع فى اللحظة الاخيرة .. لأننى أعرف مدى قوة تأثرك على القادة والجنود داخل الجيش .. وأعلم أن القرار من الممكن أن يضرني بأكثر مما ينفعني .. لذلك أطلب منك بصورة مباشرة أن ينزل الجيش الى الشارع وينضم الى الشرطة لاعادة الانضباط والهدوء الى الوطن..

تراجع وزير الدفاع وهو يقول فى حسم:

- فى هذه الحالة سأتعامل بأسلوبي مع الموقف الراهن..

قال الابن :

- هذا معناه انك ستنضم الى الثورة المزعومة ..

هتف الوزير بلهجة قوية :

- ولائي الى الوطن والشعب .. ولن أطلق رصاصة واحدة تجاه مواطن..

أشار الابن قائلاً فى لهجة لاذعة :

- أرأيت .. أنت تحاول الأن أن تقلد الجيش المصري..

قال الوزير:

- أعلم أن كلماتي سيرفض عقلك أن يستوعبها .. ولكن هناك ما يسمى بالانتماء .. والتضحية .. والواجب .. والضمير .. وكلها ثوابت موجودة فى أعماقي تحركنى وتجعلني اتخذ القرار السليم الذى يخدم الوطن .. (ثم استطرد مضيفاً) ثم لماذا تتعامل مع الأمن بإعتباره الحل الوحيد والأمثل والأفضل لكل المشكلات التى تعجز أنت عن ايجاد حل سياسي لها؟؟

تساءل الابن بتهكم لاذع :

- وهل هناك حل آخر لعودة النظام وهيبة الدولة ..

قال الوزير:

- الحل الأمني .. يعني القمع .. وبالتالي تتحول أنت الى طاغية.. والنتيجة ثورة .. ثورة شعب تطيح بك .. هكذا علمنا التاريخ وأخبرنا ..

اراد الابن أن يرد الا ان رنين الهاتف ارتفع بجانبه فامتدت يده لتلتقط سماعته ووضعها على أذنه وساد الصمت للحظات كان فيها الابن يستمع باهتمام شديد للغاية ومن ثم اتسعت عيناه وهو يهتف فجأة :

- متى حدث ذلك؟؟

ثم قطب حاجبيه وهو يقول فى صرامة شديدة :

- أريد تقرير كامل حول هذه الواقعة بعد نصف ساعة .. وأبلغنى بسير التحقيقات أولاً بأول ..

ثم وضع السماعة فى عنف وهو يتنهد بقوة فقال وزير الدفاع فى قلق :

- ماذا حدث ؟؟

مط الابن شفتيه وهو يقول فى عصبية :

- لقد تم اغتيال رئيس البرلمان ورئيس المحكمة الدستورية العليا برصاصات غادرة .. وفى توقيت واحد تقريباً..

ظهر الاسى والحزن الشديدين على وجه وزير الدفاع وهو يغمغم :

- لماذا ؟؟ لماذا كل هذه الدماء ؟؟ .. لا حول ولا قوة إلا بالله ..

ثم تجمدت ملامح وجهه فجاة عندما قفز الى عقله خاطر أفزعه فضاقت عيناه وهو ينظر بنظرات ذات مغزى الى ابن الرئيس الذى نهض من مقعد مكتبه وعقد كفيه خلف ظهره وهو يتحرك عشوائياً فى الحجرة قائلاً دون أن يلتفت الى الوزير:

- صدقنى لا يوجد حل آخر غير الحل الأمني .. أنه المناسب فى مثل هذه المواقف وبدونه سنخسر العديد من رجال الدولة ..

أدهشه عندما هتف الوزير فجأة وفى صرامة عسكرية واضحة :

- أريد أن أقابل الرئيس الأن .. اريد أن أطمئن على صحته..

التفت اليه الابن وتبادلا الاثنان النظرات النارية للحظات ثم القى الابن نظرة الى ساعته قائلاً فى برود:

- من قال لك أنه مريض .. رئيس الديوان؟؟

فقال الوزير نافياً :

- لا .. ولكن من السهل التوقع بذلك .. لأننى لم أراه حتى الأن ..

فهتف الابن وهو يتجه الى خارج حجرة مكتبه :

- حسناً .. هيا بنا..

وفى طريقهما عبر ممرات القصر الرئاسي كان عقل وزير الدفاع يشتعل من التفكير وهو يغمغم فى قرارة نفسه :

- هل فعلها ابن الرئيس ؟؟ .. اسلوبه وسياساته تنبأ بأنه من الممكن أن يفعل أى شئ .. لقد ذكر عبر حواره معه انه الرئيس القادم .. وقتل رئيس البرلمان ورئيس المحكمة الدستورية له مغزى رهيب يرتبط بتأكيده على أنه الرئيس القادم .. يا إلهي .. انه يتخلص من الجميع .. هذا يعنى أننى فى خطر و..

وتسلل الى انفه رائحة خاصة جداً .. رائحة الدم ..

*****

(١٣) لهيب الشر

وصل الابن وبصحبته وزير الدفاع الى حجرة الرئيس وهبط قلب الثاني الى اخمص قدميه وأصابه الألم والحزن الشديد وهو يرى الرئيس مستلقي على ظهره فوق سريره مريضا فى حالة يرثى لها وحوله الفريق الطبي والعديد من الاجهزة والمعدات الطبية .. فى حين اتجه الابن ووقف بجوار السرير وهو ينظر الى والده الرئيس قائلاً للطبيب قائد الفريق الطبي:

- هل هناك جديد ؟؟

قال الطبيب :

- نحمد الله .. كل المؤشرات والقراءات تثبت أن الحالة مستقرة وأنه قريباً جداً ان شاء الله سيستعيد وعيه ..

نظر الابن اليه للحظة قائلاً فى لهجة خاوية:

. الحمد لله ..

وهنا ظهر على باب حجرة الرئيس مسئول الأمن القومي فالتفت اليه الابن وحدجه بنظرات قاسية وهو يسأله بتهكم :

- مرحباً بمسئول الأمن القومي .. لماذا لم تتكرم وتأتي الى مكتبي مباشرة؟؟

أجابه المسئول ببرود ساخر:

- ربما لأنى لا أعرف أحداً فى هذا القصر سوى رئيس الجمهورية ..

ظهر الغضب الشديد على وجه ابن الرئيس فى نفس اللحظة التى دلف فيها قائد الأمن بالقصر وهو يقول فى سرعة تنم عن خطورة الأمر:

- سيدي .. هناك أمر هام ..

هتف الابن :

- قل ما لديك ..

تردد قائد الأمن للحظات وهو يدور بنظره على وجوه الموجودين فعاد الابن يهتف بصرامة :

- قلت لك تكلم ..

اندفع القائد قائلاً بمزيج من التوتر والقلق :

- لقد حدث اختراق لنظام الأمن بالقصر منذ عشر دقائق كاملة .. هناك اشارة تشويش صادرة من مكان ما أصابت أنظمة جميع كاميرات المراقبة وجعلت الشاشات فى حجرة المراقبة لا تبث شيئاً ..

صاح مسئول الأمن القومي :

- هذا يعنى أن شئ ما سيحدث فى اللحظات القادمة .. و..

وفجأة..

وبدون أى مقدمات ..

انقطع التيار الكهربائي عن القصر كله ..

وساد ظلام دامس مخيف .. وعلت شهقات الفريق الطبي يملؤها الذعر والفزع الا ان صوت ابن الرئيس ارتفع هاتفاً بصوت قوى مرتفع :

. فليقف الجميع فى مكانه .. وأى مخلوق يتحرك خطوة واحدة سيتم محاكمته ..

ساد الصمت للحظات قليلة استطرد هو بعدها:

- سيتم تشغيل المولدات الاحتياطية الاضافية بعد دقيقة واحدة ..

وفعلا بعد الوقت المحدد عاد التيار الكهربائي الى القصر وفى سرعة شديدة انقسم الفريق الطبي الى قسمين الأول التف حول الرئيس لفحصه والثاني انشغل بإعادة تشغيل المعدات الطبية التى بدأت فى عملها وارسال

نتائجها في حين تلاقت نظرات القلق بين وزير الدفاع ومسئول الامن القومي في الوقت الذى التفت ابن الرئيس الى قائد امن القصر قائلا له في صرامة :

- أعطي أوامرك بتنفيذ خطة الطوارئ العاجلة .. أريد تفتيش هذا القصر تفتيشاً دقيقاً باستخدام كافة الامكانيات المتاحة .. بالاضافة الى رفع الاجراءات الامنية الى المستوى الاول مع التأكيد مرة أخرى على منع دخول أو خروج أحد من القصر الى بإذن مباشر مني .. كما أريد فرق من الحراسة المشددة والمجهزة على مساحة دائرية مداها نصف كيلو متر خارج محيط القصر..

أومأ القائد برأسه وأسرع خارجا لتنفيذ تلك الأوامر..

وفجأة ..

هتفت احدى الممرضات في جزع وهى تشير الى عنق الرئيس :

- ايها الطبيب .. انظر...

اندفع اليها الطبيب وهو يصيح :

- ماذا حدث؟؟

كان قد وصل اليها بالفعل وأمسك رأس الرئيس برفق وضاقت عينيه وهو ينظر بتركيز عميق الى العنق وهى تتابع بانفعال جارف لا يخلو من القلق والتوتر:

- هناك شئ ما في عنقه .. نقطة دم..

تبادل الجميع النظرات في جزع وبصورة لا ارادية وبفضول يمتزج مع الترقب والخوف اقترب الجميع من الرئيس الا ان الطبيب رفع يده وهو يقول بصرامة :

- ارجو من الجميع الابتعاد ..

عاد الجميع الى اماكنهم والصمت والقلق الشديد بدأ يعصف بهم فيما عدا ابن الرئيس الذى بدا متماسكاً بعض الشئ قاطباً حاجبيه وهو يقف بجوار الطبيب الذى أمسك بقطعة قطن طبي ومررها على عنق الرئيس مكان نقطة الدم ثم شهق فى فزع واتسعت عيناه بشدة وهو يصيح :

- يا إلهي .. إنها اثار حقنة ..

هتف ابن الرئيس متسائلا فى دهشة :

- ماذا تعنى ؟؟

تجاهله الطبيب وهو يأمر فريقه الطبي :

- أريد عينة دم حالا ونتائج تحليلها في خلال دقيقتان على الأكثر.

سارع الفريق لتنفيذ المطلوب فى حين قطب الابن حاجبيه وهو يمسك ذراع الطبيب بقوة ويسأله مجدداً :

- قلت لك .. ماذا تعني؟؟

شحب وجه الدكتور وقال وهو يلهث من كثرة الانفعال :

- أعنى أنه تم حقن الرئيس بحقنة ما ..توقيتها مخالف تماما لبرنامج علاجه اليومي.. وهذا يعني أن احد الموجودين هنا استغل انقطاع التيار الكهربائي و...

وفجأة ..

تأوه الرئيس بشدة..

وفتح عينيه ..

وأصابته نوبة من السعال الرهيب ..

وجحظت عيناه بشكل مريع وتقلصت ملامح وجهه وظهر عليها علامات الألم الرهيب واصيب جسده بتشنج عجيب وبدا انه يحاول جاهدا التنفس فى النفس الوقت الذى ارتفعت فيه اصوات مؤشرات المعدات الطبية

وتصاعدت قياستها وتذبذبت مؤشراتها بصورة رهيبة تدل على ان جسد الرئيس يعانى من مضاعفات خطيرة وصرخ واحد من الفريق المعالج قائلاً :

- رباه ..المؤشرات الحيوية كلها فى هبوط مستمر.. انه يموت ..

وهنا..

ومع انتهاء عبارته ..

تهالك جسد الرئيس دفعة واحدة ..

وفقدت عيناه بريق الحياة ..

وتجمد الجميع فى أماكنهم ..وبدو كأنهم تماثيل من الشمع للحظة واحدة فقط ارتفع فيها صوت أزيز متصل من جهاز قياس القلب تشير الى توقفه .. وفى اللحظة التالية انتفض الطبيب واسرعت يده الى احد الاجهزة وهو يهتف بالفريق :

- دعوني استخدم جهاز صدمات القلب .. هناك احتمال كبير لانعاش قلبه مرة اخرى..

وفى ثوان معدودة كان يثبت اطاري الجهاز على صدر الرئيس وهو يهتف :

- أريد أعلى طاقة ممكنة ..

ظهر التوتر الشديد على وجه ابن الرئيس وهو يراقب انتفاضة جسد والده مع كل دفقة طاقة ثم عقد ساعديه أمام صدره والتفت الى وزير الدفاع ومسئول الأمن القومي و...

اصطدمت عيناه بالفراغ ..

لم يكن لهما أثراً داخل الغرفة ..

وفى سرعة خرج من الغرفة وعلى وجه ألف تساؤل ..

وتحركت عيناه بحثاً عنهما فى الغرفة المجاورة..

ثم زفر فى حنق وغضب ومد يده ليأخذ من جيبه جهاز لاسلكى صغير قال من خلاله وهو يضغط على زر اعلاه :

- قائد الأمن .. اريدك فورا على الموجة السرية

ثم صمت لحظة قام خلالها بتعديل الجهاز على الموجة السرية الخاصة التى تربطه بقائد أمن القصر دون أن يسمعه باقى فريق الأمن .. وبعد ثواني قليلة نقل الجهاز صوت القائد وهو يهتف بلهجة روتينية:

- قائد الأمن فى خدمتك على الموجة الخاصة ..

صاح به ابن الرئيس متسائلاً :

- هل رأيت وزير الدفاع ومسئول الأمن القومي؟؟ ..

أجابه القائد فى اقتضاب :

- لا يا سيدي ..

قطب الابن حاجبيه وهو يقول يسأل فى عصبية غاضبة: ..

- هل خرجا من القصر؟؟

فهتف القائد :

- مستحيل يا سيدي .. مستحيل أن يدخل أو يخرج أحد دون إذن منك شخصياً حسب أوامرك ..

وهنا جاء الطبيب وعلى وجهه ملامح الصدمة والحزن الشديد ونظر الى ابن الرئيس ودموعه تنهمر من عينيه فى صمت ..

فتنهد الأبن بعمق وهو يومأ رأسه وقد أدرك من ملامح ونظرات الطبيب ما حدث فقال الابن فى لهجة آمرة :

- اريدك أن تأمر بالبحث عنهما واحضارهما الى مكتبي ولو حتى بالقوة .. كما أريدك معهم لتتولى التحقيق بنفسك ..

تساءل القائد فى دهشة :

.تحقيق .. تحقيق مع من ؟؟ وعن ماذا؟؟

ابتلع الابن ريقه بصعوبة وهو يجيب فى صوت مخنوق:

- التحقيق فى مقتل الرئيس ..

ونقل جهاز اللاسلكى شهقة القائد التى جاءت مزيجاً من الدهشة الصادمة والتوتر والحزن ..

وبدا أن الساعات القادمة ستحمل المزيد والمزيد من المفاجآت الرهيبة ..

فى يوم طويل من الصراع ..

صراع الشر..

الذى لا ينتهي أبداً..

*****

(١٤) حصار..

هتف مسئول الأمن متسائلاً وهو يحاول ملاحقة وزير الدفاع بخطواته المسرعة داخل حديقة القصر الرئاسي الواسعة :

- هل تعتقد أن الابن فعلها؟؟

أجابه وزير الدفاع فى جدية شديدة :

- بكل تأكيد .. انه يحاول أن يتخلص من الجميع لينفرد بالسلطة .. لذلك كان علينا ان نبتعد و...

قاطعه مسئول الأمن مستنكرا:

- ولكننى لم اعتاد أبدا على الهروب ..

رد الوزير بسرعة :

- ليس هروباً أبداً يا صديقى .. سنخرج من هذا القصر لنعيد ترتيب أوراقنا تمهيداً للمواجهة الحقيقية ..

هتف المسئول :

- ولكن من الممكن أن نضع الأن حداً لكل هذا الشر..

توقف وزير الدفاع والتفت الى المسئول وهو يقول:

- للأسف.. نحن على أرضه ووسط زبانيته .. وأمامنا دقيقتان بالضبط قبل أن يكتشف غيابنا (ثم أشار الى الحراس المنتشرين بكثافة شديدة فى أنحاء القصر واستطرد) ووقتها ستجد كل هؤلاء يبحثون عنا .. ولا أستبعد فى أنهم قد يحاولون قتلنا .. والصاق جريمة قتل الرئيس بنا .. لذلك فالمواجهة الأن لن تكون فى صالحنا أبداً.. بالاضافة الى أن دورنا الأن هو كشف حقيقته البشعة للشعب ..

قال المسئول :

- ولكن الشعب لا يحبه .. ولا يستسيغه .. ولن يقبله كحاكم لهم ..

قطب وزير الدفاع حاجبيه وهو يقول فى حنق شديد :

- هل تصدقني لو قلت لك أن هذا الابن الشيطان مستعد أن يتخلص من الشعب كله إذا لزم الأمر..

أومأ المسئول برأسه قائلاً :

- بالطبع .. ولا جدال فى هذا الرأي.

إستطرد الوزير مكملاً فى مزيج من الحسم والصرامة :

- لذلك يجب أن نكون بالخارج .. مع الشعب .. نقاوم الشيطان ونهزم شره متسلحين بالارادة الشعبية وبإخلاصنا لهذا الوطن .

قال المسئول بحزم شديد :

- وأنا كالعادة معك يا صديقي (ثم استطرد متسائلاً) ولكن كيف سنخرج من هنا؟؟ لن يسمحوا لنا بالخروج بالسيارة أبدا ..

صمت الوزير لحظة وأشار برأسه الى ما خلف المسئول وهو يقول فى حسم :

- هذه هى وسيلة خروجنا من هنا ..

التفت المسئول الى حيث اشار الوزير واتسعت عيناه وهو ينظر الى هناك ..

الى الهليكوبتر العسكرية ..

طائرة ابن الرئيس ..

*****

وفى داخل القصر بإحدى حجراته الخاصة التقت أعين الفريق الطبي فى صمت مشوب بالقلق والخوف من مصيرهم بعد ما حدث للرئيس الى ان هتف احدهم فى تساؤل :

- ماذا سيفعلون بنا ؟؟

فقال الطبيب فى حزم رغم علامات الحزن العميق التى بدت على وجهه:

- لن يقترب أحد منكم أو يمسكم بشئ .. وأنا مستعد لتحمل مسئولية كل ما جرى ؟؟

وهنا ظهر قائد الأمن قائلاً للجميع :

- للأسف .. كلمات الدكتور لن تعفيكم من خوض التحقيقات ..

فهتف الدكتور فى حسم وقوة :

- ولكنني المسئول ..

فقال القائد فى صرامة :

- قل ما تشاء عندما يحين دورك فى التحقيق ..

وتركهم القائد وقد شحبت وجوههم وهم ينظرون الى الطبيب الذى تنهد فى مرارة وهو يتخيل مصيره ومصير رفاقه على يد ابن الرئيس .. الذى لا يرحم أبداً ..

*****

كان وزير الدفاع ومسئول الأمن القومي يسرعان فى خطواتهما وهما يقتربان من مهبط الطائرات التى تقبع فيه الطائرة الهليكوبتر عندما التفت المسئول يمينا ويساراً وهو ينظر بترقب شديد على مرمى بصره الى فرق الحراسة المنتشرين فى كل مكان تحت الاضواء الكاشفة المبهرة والتى احالت الليل الى نهار وما لبث أن هتف بحذر لوزير الدفاع :

- تحركات الحرس من بعيد تعني أن ابن الرئيس اكتشف غيابنا وأمر بالبحث عنا..

لم يعلق الوزير ولم يضيف المسئول كلمة واحدة .. وما ان اقتربا الاثنان من الطائرة حتى اقترب منهم احد الجنود الاربعة الاشداء بخطوات قوية منتظمة قائلاً لهما فى لهجة عسكرية وقد اعترض طريقهما :

- سيادة الوزير.. سيادة مسئول الأمن .. عليكما العودة حالاً الى القصر للأهمية القصوى ..

فرد وزير الدفاع بكل قوة وصرامة عسكرية :

- أفسح الطريق أيها الجندى .. سنستخدم هذه الطائرة للرحيل من هنا ..

وفى خطوة مفاجئة رفع الجندي سلاحه فى وجههما وهو يهتف وسط باقي الجنود الذين انضموا اليه شاهرين اسلحتهم :

- سيدى .. انها الاوامر.. سأصحبكما الى القصر حتى ولو بالقوة ..

تبادل وزير الدفاع النظرات مع مسئول الأمن القومي ثم التفت الى الجندي قائلاً له بلهجة تحمل مزيجاً من الصرامة والتحدي والحسم :

- اسمع أيها الجندي .. اسمعوا كلكم .. أنتم تعرفوني جيداً .. وتعرفون الرئيس .. وتعرفون ابن الرئيس.. ونداء الوطن يحتم عليّ أن أقلع بهذه الطائرة فورا.. من أجل حماية هذا الوطن قبل أن يسقط فى هاوية الفوضى والحرب الأهلية.. من أجل القضاء على صراع السلطة الشيطاني الذى يدور

داخل جدران هذا القصر ويقوده ابن الرئيس .. وندفع ثمنه من أروحنا ودماءنا وشهداءنا من أفراد شعبنا العظيم ..فسواء شئتم أم أبيت سأرحل فوراً ..حتى لو كان هذا آخر لحظة فى عمري الذى قضيته فى خدمة الوطن بكل إخلاص وتفاني.. لقد بذلت كل ما فى وسعي لأعلمكم ما تفيدونه وتقدمونه لهذا الوطن .. علمتكم كيف تتخذون القرار فى أصعب المواقف .. ولا يوجد أصعب من الموقف الحالي ..خذوا قراركم .. المهم أن يكون القرار نابع من ضمائركم .. المهم أن يكون القرار فى صالح الوطن مهما كانت النتائج .. لقد اتخذت قراري .. فخذوا أنتم قراراكم ..

ارتجفت اجساد الجنود من فرط قوة كلماته وصدقها ..

وتبادلوا جميعاً النظرات الحائرة المرتبكة ..

ولكن .. وفى آن واحد ..

أتخذوا القرار..

وتم تنفيذه على الفور ..

بدون تردد ..

وانطلقت الرصاصات بدوى هائل ..

لتشق سكون الليل الطويل الدامي ..

*****

(١٥) ليلة لا تنتهى

تحرك الابن فى مكتبه بتوتر شديد وهو يزفر فى حنق وعصبية ووقف يتطلع عبر نافذته الى فناء من أفنية القصر الذى يشهد حركة غير عادية لحراسه تعنى أن أمر جلل قد حدث ..

كان عقله يحمل أسئلة كثيرة وعديدة عن سر دوى الرصاصات التى انطلقت منذ قليل.. و..

وارتفع صوت سكرتيره الخاص عبر جهاز الاتصال الداخلي وهو يقول :

- لقد وصل قائد الأمن يا سيدى ..

اندفع الابن نحو جهاز الاتصال وضغط زره قائلاً :

- فليدخل فوراً ..

وبعد لحظة واحدة عبر قائد الامن الى حجرة مكتب ابن الرئيس الذى هتف به متسائلا فى فضول شديد :

- هل قتلوا وزير الدفاع ؟..

التقى حاجبى قائد الامن وهو يقول فى اقتضاب وقد ضم شفتيه :

- للأسف ..

عاد الابن يقول فى عصبية وقد فرغ صبره :

- للأسف ماذا ؟؟ ..

أجابه قائد الأمن :

- لقد هرب بالطائرة الهليكوبتر الخاصة بك .. وسجلت أجهزة الرادار أنه حط بها فى مكان قريب .. وبعد ذلك اختفى ..

هتف ابن الرئيس فى مزيج من الصرامة والخشونة:

- فلتذهب الطائرة الى الجحيم ..فمن الممكن أن يكون مسئول الأمن القومى هو الذى هرب بها .. لكنني سألتك سؤال محدد ..

ارتبك قائد الأمن قليلاً وهو يقول :

- اقصد الاثنان يا سيدى .. وزير الدفاع ومسئول الأمن القومي هربا بالطائرة ..

قطب ابن الرئيس حاجبيه ومر يده على رأسه ووجه وبدا غارقاً فى التفكير للحظات بعدها تساءل فى سخرية قاسية :

- وأين كان الحراس؟؟ .. يلعبون الكرة فى الحديقة الخلفية ؟؟

ظهر الضيق على وجه القائد من لكنة الابن الساخرة ولكنه أجاب فى حنق بالغ:

- للأسف يا سيدى .. لقد حدثت مفاجأة غير متوقعة ابدا قلبت الأمور رأساً على عقب وجعلتها فى صالح الوزير والمسئول .. وهى أن .. (صمت لحظة ثم أضاف) .. وهى أن حراس الطائرة هربوا معهما ..

ارتسمت دهشة عظيمة على وجه ابن الرئيس واتسعت عيناه فى تعجب شديد وهو يجلس على أقرب مقعد وكأن المفاجأة أعجزته عن الوقوف ثم غمغم متسائلاً :

- كيف حدث هذا ؟!

فأجاب القائد بسرعة:

- بعض الحراس الذين كانوا على مقربة من مهبط الطائرة أكدوا بأن الجنود كانوا شاهرين أسلحتهم بالفعل فى وجهى الوزير والمسئول إلا انه وبعد لحظات وجدوهم يفسحون الطريق لهما ويقفز الجميع الى داخل الطائرة بسرعة شديدة وهو ما جعل الحراس يندفعون نحوها الا ان الجنود بداخلها

اطلقوا النيران بصورة منعت الحراس من الاقتراب حتى تصاعد هدير محركها ورغم تبادل اطلاق النار الا ان الطائرة اقلعت بالفعل ولم تفلح الرصاصات والانظمة الدفاعية بالقصر فى ايقافها نظراً لكونها طائرة حربية حديثة تستطيع ان تتحمل وتراوغ وتصد أى محاو ....

قاطعه ابن الرئيس فى صرامة شديدة وقد استعاد رباطة جأشه :

- اذهب انت ..واستكمل تحقيقاتك مع الفريق الطبي .. أريد تقرير كامل عما حدث فى أسرع وقت ممكن .. واحترس .. أمر مقتل الرئيس مازال تحت بند السرية المطلقة حتى احدد اجراءات وملامح المرحلة القادمة .. هيا ..اتركنى الان ..

نظر اليه قائد الأمن بنظرة خاوية ثم دار على عاقبيه ليخرج من غرفة المكتب فى نفس الوقت الذى تصاعد فيه صوت سكرتير ابن الرئيس وهو يقول عبر جهاز الاتصال :

- سيدى .. أسف لإزعاجك ولكن هناك كثيرون من داخل الوطن وخارجه يحاولون الوصول اليك للتحدث معك بشأن الموقف الراهن و..

قاطعه الابن فى ضجر وهو يضغط زر الاتصال :

- قل لهم أى شئ .. ولا أريد اى ازعاج لمدة نصف ساعة .. أفهمت..

ثم جلس على مقعده الوثير خلف مكتبه ورفع رأسه الى أعلى وأغلق عينيه وبدا غارقاً فى التفكير و..

اعتدل فجأة والقى نظرة سريعة فى ساعته الانيقة ثم مد يده ليضغط على ازرار الكمبيوتر المحمول الخاص به فى تتابع منتظم ثم انتظر لحظات ظهر بعدها صورة السيناتور الامريكى فقال له الابن بلغة انجليزية عبر مكالمة الفيديو:

- أعتذر على ازعاجك ايها السيناتور .. ولكن أطلب المشورة بخصوص الوضع الحالي..

فقال السيناتور فى اقتضاب :

- قل ما لديك ..

فقال الابن :

- الأمر يخرج عن سيطرتي تماما .. اعداد المتمردين فى تزايد مستمر .. ومعهم حشود من الاخوان .. والشرطة تحاول بكل امكانياتها لتفريقهم ولكن التقارير تؤكد أن جهاز الأمن كله من الممكن أن ينهار فى أى لحظة .. والأقسام امتلأت بالمقبوض عليهم لدرجة اننى أمرت بفتح السجون والمعتقلات ليتم ترحيلهم الى هناك مباشرة .. كذلك استأجرت بطرق غير مباشرة مجموعة كبيرة جدا من البلطجية والمسجلين خطر لمقاومة من يسمون أنفسهم بالثوار وقتلهم اذا لزم الأمر.. ولكن ..ولكن أحتاج الى دعم أكبر وسريع وفعال..

تسائل السيناتور :

- والجيش ؟

زفر الابن فى ضيق وهو يجيب :

- الجيش لا يريد التدخل .. ولا أمل منه .. ووزير الدفاع سأصدر قراراً بعزله .. ولكن المشكلة تأثيره الكبير على قواد وجنود الجيش لدرجة أن بعضهم خالفوا أوامري وساعدوه على الخروج من القصر بعدما ..

صمت قليلا ثم استطرد :

- بعدما قام بقتل الرئيس ..

اصابت المفاجأة ملامح السيناتور ورفع حاجبيه وهو يقول فى دهشة :

- قتل الرئيس .. وزير الدفاع قتل الرئيس .. كيف؟؟

هز الابن كتفيه قائلا:

- هذا ما حدث مع الأسف ...

قطب السناتور حاجبيه وهو يقول متعجباً مستنكرا :

- ولكن تاريخه وسلوكه وأسلوبه فى الحياه والعمل لا تتفق ابداً مع قيامه بارتكاب هذه الجريمة .. بالتأكيد هناك خطأ ما فى تحليلك للواقعة (ثم تمتم وكأنه يتحدث مع نفسه) رئيس البرلمان ورئيس المحكمة الدستورية ثم الرئيس .. و.. (ابتسم فى خبث وهو يستطرد بلهجة ذات مغزى) يبدوا أن هناك من يتحرك بسرعة شديدة للتخلص من أعدائه ..

قال الابن فى لهجة جامدة :

- هناك تحقيق مكثف يتم حول هذه الجرائم النكراء

فقال السيناتور :

- اقدم تعازي الحارة (ثم أستطرد قائلاً) وعموما هذه أمور تخصك ولا تخصنا .. المهم الأن اننا نتعامل معك أنت .. ولكن فى قضية قتل الرئيس لابد أن يكون التحقيق سرياً لا يعرفه أحد ابدأ ..

أومأ ابن الرئيس برأسه هاتفاً :

- هذا ما أمرت به بالفعل ..

فقال السيناتور :

- حتى أنا لن أبلغ الرئيس الامريكى بهذا النبأ .. ومن الأفضل أن يبقى هذا الأمر سري حتى يتم تنفيذ الحل الوحيد والسريع لاحكام قبضتك على مقاليد الحكم والشعب فى وطنك ..

سأله الابن فى لهفة شديدة :

- وما هو يا سيدى؟؟

وإنطلق السيناتور يخبره بالحل ..
وابتسم الابن وهو يستمع بمزيج من الاهتمام والاعجاب..
واتسعت ابتسامته لتملئ وجه ..
ابتسامة شيطانية ..
تحمل رائحة الموت والدم ..

*****

وفى غرفة أخرى من غرف القصر الرئاسي كان يجلس قائد الامن خلف مكتبه وأمامه الطبيب الذى قال للأول بصوت يملؤه الحزن :

- هذا ما حدث ؟؟

فقال القائد متسائلا :

- هل تقصد انه فى وقت انقطاع الكهرباء قام أحدهم بحقن الرئيس بمادة بروميد البانكورونيوم تسببت فى حدوث ما يسمى بالاختناق الكيميائي له أدت الى وفاته ؟؟

أعتدل الطبيب فى جلسته وهو يتنهد قائلاً :

- بكل تأكيد .. نتائج تحليل الدم تؤكد ذلك .. بروميد البانكورونيوم مادة سامة قاتلة تتسبب فى ايقاف عملية التنفس وشلل بالرئتين فيموت الضحية خلال ٧ دقائق و معروفة بانها احدى الحقن المميتة التى تستخدم فى تنفيذ حكم الاعدام ببعض الولايات الامريكية..

أومأ القائد برأسه وعاد يسأل فى اقتضاب :

- هل تتهم أحد أو لديك أى شكوك تجاه أحد؟؟

فأجاب الطبيب :

.لا .. (ثم استطرد بسرعة) ولكنني المسئول ..

فتنهد القائد وهو يقوم من مكانه قائلاً :

- علينا أن نلقى نظره أخيرة على جثة الرئيس لإنهاء هذا التحقيق .. وبعدها سنرى ماذا سيحدث ؟؟

فقام الطبيب وسار خلف القائد فى صمت واستسلام وعقله يكرر نفس التساءل :

- يا ترى .. ماذا سيحدث؟؟ .. ماذا تخبئه لنا الساعات المقبلة ؟؟

وبقت الأسئلة حائرة

فى سماء القصر..

الرئاسي ..

*****

(١٦) عقول جهنمية .

دقت الساعة القديمة ذات البندول الضخم القابعة داخل مكتب الابن دقاتها الرصينة لتعلن عن الثانية بعد منتصف الليل عندما مط الابن شفتيه وهو يجلس خلف مكتبه يراجع كومة من التقارير قائلا فى غضب لقائد الامن الواقف أمامه :

- كل هذه التقارير تثبت فشل الحكومة فى السيطرة على الوضع ..(ثم اشار الى القائد مستطرداً) أنت ايضاً أثبت فشلك أكثر من مرة وفى ساعات قليلة ..

نظر قائد الامن اليه فى صمت والابن يتابع فى خشونة صارمة :

- انقطاع الكهرباء ووفاة الرئيس وهروب وزير الدفاع .. كل هذا يعنى أن هناك خلل أمنى خطير فى منظومة القصر .. خلل تستحق أن تحاكم عليها وتبقى خلف قضبان السجن بقية حياتك الفاشلة ..

رمقه قائد الامن بنظرة خاصة قوية صارمة جعلت الابن ينتفض من مكانه ويندفع اليه ويمسك بتلابيب بذلته وهو ينظر الى عينيه مباشرة صائحا بصوت هادر:

- كيف تجرؤ على النظر إليّ هكذا ؟؟

بدا قائد الأمن متماسكا متجاهلا ما قاله الابن قائلا فى برود لا يتناسب مع الموقف أبداً :

- هل تعلم لماذا اختارني الرئيس رحمه الله لأكون قائد الأمن فى القصر؟؟

تركه الابن وابتعد عنه وهو يقول بسخرية لاذعة :

- ربما لأنك أذكى وأمهر رجل أمن فى التاريخ القديم والحديث ..

رد القائد فى سخرية مشابهه :

- أشكرك على الجزء الاول من العبارة وسأتجاهل الجزء الثاني منها ..

ثم انقلبت ملامحه فجأة وهو يستطرد بلهجة قوية :

- لقد اختارني لأنني محترف بحق ..

ضحك الابن ساخرا وعقد ساعديه امامه وهو يقول فى تهكم :

-وما تفسيرك لما حدث اليوم أيها المحترف ؟؟

صمت القائد لحظات وخطى بعض الخطوات مبتعدا عن الابن الذى كان يرمقه بنظرات قاسية ثم تجمد مكانه فجأة هاتفاً فى حزم :

- لماذا قتلت الرئيس ؟؟

اتسعت عينا الابن فى ذهول شديدة وظهر الارتباك على ملامحه للحظة واحدة ثم تماسك بسرعة شديدة وهو يقول بصوت حاول أن يكون صارماً ولكنه خرج خافتاً متوتراً:

- ماذا تقصد؟ (ثم صاح فجأة) أنت فاشل .. مجرد فاشل يحاول تبرير اهماله وتعليق أخطائه على شماعة الأخرين .

لوح القائد بسبابته قائلاً فى غلظة :

- وأنت تحاول إلصاق جرائمك لي بعدما هرب وزير الدفاع الذى كان من المفترض أن يكون فى موضعي الأن .. أليس كذلك ..

عاد الابن صامتاً الى مكانه خلف المكتب وجلس وعلى وجهه ابتسامة صغيرة باردة وعينيه على القائد الذى استطرد قائلاً ولغة التحدى تملئ كلماته :

- كان الرئيس يعلم تماما أن الشر تملك روحك وعقلك وحولك الى شيطان تعيث فى القصر والوطن فساداً .. لقد حاول أكثر من مرة افساد مخططاتك تجاه الاخرين بصورة غير مباشرة وبدون أن تعلم ..لم يستطع أن

يواجهك مباشرة لأنه يدرك بأنك لن تتردد أبداً فى قتله والتخلص منه مثلما فعلت مع كثيرين طوال السنوات الماضية .. (ثم تحرك فى أرجاء الغرفة ذهاباً وايابأ مستطرداً) وقبل مرض الرئيس أمرني بتركيب كاميرات سرية لاسلكية على أعلى درجة من التكنولوجيا الرقمية فى مجال المراقبة وهى من النوعية التى تقاوم أى تشويش متعمد كذلك تنقل الرؤية الليلية بصورة فائقة الجودة .. وقد قمنا بتركيبها أثناء سفرك الاخير الى الولايات المتحدة الأمريكية وبقى الأمر سراً بينى وبين الرئيس و....

وفجأة أخرج الابن مسدس فضي ذو ماسورة طويلة تدل على أنه كاتم للصوت ووجه فوهته الى القائد قائلاً فى لهجة ساخرة لاذعة :

- هل تعني أن كاميراتك تسجل الأن اللحظات الأخيرة من حياتك ؟

ضحك القائد قائلاً فى تهكم :

- بل تسجل بداية مرحلة جديدة من حياتي..

فقال الابن :

- وماذا لو تجاهلت كل هذا وضغطت على الزناد ..

رد القائد بسرعة :

- بعد مقتلي بنصف ساعة على الأكثر ستجد مقاطع من الفيديو تخصك مرفوعة على الموقع الالكتروني الشهير اليوتيوب بالاضافة الى أن القنوات الخاصة المحلية والعالمية سيقوم أتباعي بتسليمهم اسطوانات السى دى المليئة بفضائحك وجرائمك .. وبدلاً من أن تقضي بقية عمرك وأنت سيد هذا الوطن كما خططت أنت لذلك .. ستكون فى حالة دفاع دائم عن نفسك أمام الرأى العام المحلي والعربي والعالمي .. وربما تحاكم ..

قاطعه الابن فى صرامة :

- إذن هي عملية ابتزاز حقيرة ..

فقال القائد ساخراً :

- منكم نتعلم يا سيدي .. (ثم اكتسب صوته الجدية وهو يستطرد) مشكلتك الأولى هى تصورك بأنك الشيطان الوحيد فى هذا العالم ..

سأله الأبن :

- وهل تعتقد وبناءً على كل هذا الهراء الذى ذكرته بأنك أصبحت شيطان؟؟

رد القائد قائلاً :

- للأسف .. الشياطين هم الفائزون فى هذا الزمن العجيب الذى نعيشه..

صمت الابن لحظة وتبادل مع القائد نظرات نارية مليئة بالتحدى ثم سأله :

- وماذا تريد أيها الفائز.. رئاسة الوزراء مثلاً ؟؟

هز القائد رأسه وهو يقول :

. لا .... لا .. لا أريد أى منصب سياسي .. بل أخطط لأكون رجل اعمال كبير.. وكل ما اطلبه هو ان أكون المسيطر على سوق اليورانيوم المستخرج من الجبل الشرقي..

قطب الابن حاجبيه وهو يردد :

- اليورانيوم ..

فهتف القائد :

- نعم .. كنز الكنوز فى هذا الوطن والذى تتهافت عليه دول العالم المتقدم..

تنهد الابن وقال وهو يخفض مسدسه :

- لك هذا ..

فإبتسم القائد وهو ينحني الى الامام قائلاً بلهجة مسرحية ساخرة :

- أشكرك جزيلاً على كرمك وعطفك يا سيدي ..

ثم هم لمغادرة مكتب الابن الذى أوقفه هاتفاً :

- أيها القائد .. (التفت القائد برأسه الى الابن الذى اضاف فى صرامة وقسوة) الفوز فى جولة لا يعني الانتصار فى المعركة .. ونصيحة مني .. كن حذراً جيداً لأنني سأبحث ورائك وسأدمر ما لديك وبعدها ستكون رصاصتي داخل قلبك .. ووقتها سأكون المنتصر..

فأشار القائد بيده وهو يقول :

- وتلك مشكلتك الثانية ؟؟ .. وهى العناد .. عنادك الذي يضم الغرور والكبر واحتقار الأخرين والرغبة فى السيطرة على كل شئ بحجة أنك الأعلم والأقوى والأقدر والأخرين أغبياء قصار النظر لا يفهمون شيئاً وأنت الوحيد الذى تفهم .. وعموماً .. ستكون نصيحتك أمام عيني دوماً .. وسأحرص كل الحرص على أن أكون أنا المنتصر دائماً والذى يسبقك بخطوة فى كل الجولات القادمة..

ثم ادار ظهره واتجه الى باب المكتب ليخرج منه إلا ان الأبن اوقفه للمرة الثانية صائحاً :

- الشيطان لا ينام أبداً .. أيها القائد ..

فإبتسم القائد وهو يرد عليه دون ان يلتفت :

- وكذلك لا يموت أبداً .. أيها الابن القاتل ..

واغلق باب المكتب بصورة باردة مستفزة تاركاً الابن وقد ضرب سطح مكتبه براحته فى حنق وغيظ .. إلا أن ملامحه تحولت الى ابتسامة غامضة مخيفة وهو يغمغم :

- حسناً .. تريد اللعب بأوراق مكشوفة .. كم أعشق ذلك ..

واتسعت ابتسامته أكثر وأكثر وعقله يعمل بسرعة خارقة لينسج خيوط خطة جديدة

وشيطانية كما اعتاد عقله الملئ بالشر..

كل الشر..

*****

وفى صباح اليوم التالي ظهرت الصحف وفوق صفحاتها الاولى تألقت العناوين الرئيسية بلونها الأحمر المميز وكالعادة فى دول كثيرة ابان ثورات شعوبها كانت الصحف الحكومية بارعة فى تزييف الحقائق وتضليل الرأى العام بينما الصحف الخاصة تحاول ابراز دور الشعب والمنظمات المجتمعية فى كفاحها من أجل التغيير واللحاق بالربيع العربي ووقائع مقاومة قمع الأجهزة الأمنية فى مختلف ارجاء البلاد والضحايا والشهداء الذين يتساقطون من اجل تحقيق شعار ثورتها كرامة .. حرية .. حياة انسانية ..

وفى مكان ما داخل البلاد ..

كان يجلس وزير الدفاع ومعه مسئول الأمن القومي الذي هتف وهو يمسك بيديه احدى الجرائد القومية الشهيرة :

- تصور انهم ينسبون ثورة الشعب الى المؤامرات الخارجية وأعداء الوطن..

فقال الوزير مضيفاً :

- رغم أنهم هم الاعداء لهذا الوطن .. هم الذين اصابهم جنون العظمة وتصوروا انهم فوق القانون والشعب .. تناسوا أن هناك القانون الإلهي والارادة الشعبية وأن لكل طاغي نهاية..

أومأ المسئول برأسه متفقاً واستطرد وهو ينظر الى الجريدة :

- لقد عزلونا أيضا من مناصبنا ..ويبحثون عنا ..

نظر الوزير فى الفراغ وهو يتمتم :

- أمر طبيعي .. (ثم استطرد متسائلاً) هل توجد أى إشارة عن وفاة الرئيس؟

هتف المسئول :

- الجرائد القومية تشير انه فى اجتماع دائم مع الحكومة لوضع حد للمتمردين .. اما الجرائد الخاصة فتؤكد من مصادرها ان الرئيس مريض جدا وأن الذى يدير الازمة الان هو ابنه ..

صمت الوزير لحظات وبدا انه غارقاً فى التفكير ثم التفت للمسئول متسائلاً:

- هل إتصل بك أحد ؟؟

رد المسئول :

- كثيرون .. مسئولون بالمخابرات وقادة الجيش وبعض السياسيين البارزين ورجال أعمال وغيرهم من المخلصين .. الجميع يريد المشاركة فى وضع خطة لدعم الثورة وعودة الوطن الى الشعب ..

هتف الوزير محذراً :

- احذر استعمال الهواتف .. فلابد انه يراقبها من خلال أنصاره ..

فقال المسئول :

- لا تقلق من ذلك .. فالعسكريون اتواصل معهم من خلال موجة راديو سرية ذات شفرة معقدة جداً .. اختراقها يحتاج الى سنوات .. أما الباقون عن طريق بريد الكتروني خاص جدا من الصعب التجسس عليه .. (ثم قطب حاجبيه وهو يضيف) وفى جميع الأحوال سأكون حذراً فى التعامل مع الجميع .. فالتابعون له كثيرون وفى كل مكان وهدفهم الوحيد هو قمع الثورة .. واذا نجحوا فى ذلك سيدفع الشعب ثمناً باهظاً .. وسيعودون هم بأشرس مما كانوا عليه ..

فهتف الوزير فى حزم :

- إننى اثق بهذا الشعب .. وقبل هذا ثقتي فى الله سبحانه وتعالى قوية وعميقة.. (ثم صمت لحظة سأله بعدها) أين الجنود ؟؟

اجاب المسئول وهو يشير بيده :

- فى الحجرة المجاورة ..

نهض الوزير واتجه الى حيث اشار المسئول وما أن خطا بداخل الغرفة حتى وقف الجنود الاربعة فى ثبات وقوة رافعين أيديهم بالتحية العسكرية رد عليها الوزير بالطريقة نفسها وأشار اليهم بالجلوس بعدها أخذ يتأمل ملامحهم الصارمة الجادة ثم تنهد قائلاً :

- أعلم ما يدور فى أعماقكم .. وأعلم أننا جميعا فى موقف يحسد عليه .. لقد تم عزلي .. وبالتأكيد هذا ما حدث لكم ..وأعتذر إن كنت تسببت فى تورطكم .. يمكنكم الرحيل اذا اردتم .. قولوا لقادتكم ووسائل الاعلام بأننى قمت بتهديدكم أو اختطافكم بطريقة ما وأنكم استطعتم الهرب مني .. أستطيع تحمل المسئولية وحدي .. ولكن لن استطيع تحمل بأنني المتسبب فى أذى جندي من جنودي ..

فقال جندي من الجنود الاربعة بلهجة قوية :

- سيدي .. نحن نقدر شعورك هذا .. ولكننا وقبل أن نكون جنود فإننا أبناء هذا الوطن عانينا جميعاً من الفساد والقمع والكبت بكل صوره .. لقد كنا نقف مكتوفي الأيدى أمام القبضة الأمنية الرهيبة التى كانت تعتصر شعبنا حتى أصبح المواطن لا يشعر بالكرامة وأن الوطن لم يعد وطنه ..لم يكن بيدنا أن نفعل شئ بعد أن فقدنا الحلم والأمل .. ولكن الأن .. وبعد أن أتخذ الشعب القرار وثار بكل إصرار على كل من طغي وتكبر .. كان لابد أن نفعل شيئاً .. ونأخذ القرار بأن ننضم الى الثورة والشعب بصرف النظر عن أى خسائر وظيفية فالمهم الأن أن يتحرر الوطن .. وأنت من أعطيتنا هذه الفرصة الذهبية .. لذلك نحن معك ..

فهتف الجنود الاربعة فى صوت واحد حماسي :

- كلنا معك..

ظهر التأثر الشديد على وجه الوزير وهم بقول شئ ما إلا أن المسئول قد ظهر فجأة وهو يهتف :

- سيادة الوزير.. هناك أمر هام ..

اتجه الوزير اليه بسرعة بعد ان تبادل التحية العسكرية مع جنوده وعادا الاثنان الى الحجرة الاولى وجلسا مكانهما والوزير يسأل فى لهفة :

- ماذا لديك ؟؟

أمسك المسئول بجهاز لاسلكي ضخم قائلا:

- مدير المخابرات يريد مكالمتك فى أمر خطير جداً ..

فخطف الوزير الجهاز منه وهو يضغط زر أعلاه هاتفاً :

- انا معك .. تكلم ..

لحظات واتسعت عيناه فى دهشة شديدة ..

وهوى قلبه بين ضلوعه ..

وتلاحقت انفاسه فى توتر ملحوظ ..

حتى أنه بذل مجهوداً جباراً وهو يحاول السيطرة على انفعالاته هاتفاً فى حزم شديد :

- حسناً .. إنني فى الموقع السري جـ .. هل تتذكره عندما كنا نتقابل هناك ابان عملي بالمخابرات... بالضبط ....أريد تقرير كامل مدعم بالصور ... سأكون فى إنتظارك ..

ثم انهى اتصاله فى الوقت الذى هتف فيه المسئول متسائلاً فى ذهول وهو يتأمل ملامح الوزير:

- ماذا حدث ؟؟ .. ملامحك تقول بأن أمر خطير قد حدث..

زفر الوزير فى ضيق شديد وهو يقول فى حنق وغيظ :

- هذا الوغد القاتل الشيطان إتخذ قراراً ونفذه على الفور .. قرار وصل به إلى قمة التآمر على الوطن والشعب ..

فهتف المسئول فى جزع :

- ماذا فعل ؟؟

انطلق الوزير يخبره بما جاء على لسان مدير المخابرات ..

واتسعت عينا المسئول..

فما سمعه يعني أن مرحلة جديدة من الصراع قد بدأت ..

مرحلة شرسة ..

دموية ..

ولا مجال فيها للرحمة ..

أبداً..

*****

(١٧) صفقة الدم

- مرتزقة .. مجموعة كبيرة من المرتزقة ..

هتف مدير المخابرات بهذه العبارة فى توتر عنيف وهو يجلس مع الوزير والمسئول تفصلهم منضدة بسيطة امتلأت بكومة من التقارير والصور لمعدات عسكرية وجنود أجانب وزنوج بكامل عتادهم .. فى حين ردد المسئول هاتفاً :

- مرتزقة ..

اعتدل مدير المخابرات فى جلسته وهو يضيف بجدية شديدة تبرز خطورة الموقف:

- نعم .. لقد رصد رجالنا مجموعات كبيرة من الجنود المرتزقة تعبر حدودنا فى الوقت الذى صدرت فيه أوامر سيادية عليا بعدم اعتراضهم بحجة أنهم قوات دولية جاءت لمساعدة الاجهزة الأمنية فى ردع المتمردين ..

هتف المسئول فى حنق :

- هذا ما ينقصنا .. جنود مرتزقة ..

زفر الوزير فى ضيق شديد وهو يتمتم :

- وسيلة الطغاه المعتادة لانتهاك حقوق الإنسان وإعاقة ممارسة حق الشعوب في تقرير مصيرها .. يحاولون اخماد الثورة ولكنهم يتناسون بأن الشعوب دائماً ما تنتصر كما علمنا التاريخ ..

(ثم استطرد متسائلاً لمدير المخابرات فى حزم مقتضب) .. من هم ؟

أجابه مدير المخابرات فى سرعة :

- هم مجموعات مسلحة من مختلف الجنسيات الاجنبية وخصوصاً من الدول الأفريقية بعضهم ضباط متقاعدين من فرق المظلات والقوات

الخاصة وأكثرهم جنود تمت اقالتهم ينتمون الى شرطة الشغب والمهمات الخاصة ..يعشقون الدم وأجواء الحرب ..يبيعون خدماتهم لمن يدفع ..وينفذون عملياتهم بدون أدنى رحمة يمارسون أعمالاً لا تخطر على بال ، وأخطر بكثير مما يفعله الجنود النظاميين ، ولا ينطبق عليهم ما ينطبق على البشر لأنهم بلا مشاعر ولا ضمائر.. أيضاً رصدنا بينهم أعضاء فى عصابات دولية ومنظمات اجرامية .. و.. ..(صمت لحظات ثم تابع).. لدينا معلومة مؤكدة بأن من يحركهم الأن ويصدر لهم الأوامر هو سيناتور أمريكي سبق وأن استعان بهم من قبل أكثر من مرة لتنفيذ بعض العمليات السرية الغير مشروعة فى فيتنام وكولومبيا والعراق وافغانستان لخدمة المصالح الامريكية فى هذه المناطق..

ساد الصمت للحظات قليلة بعدها غمغم الوزير وهو ينظر فى الفراغ وعقله غارقاً فى التفكير:

- المرتزقة .. ثاني أقدم مهنة فى التاريخ ..

فقال المدير مضيفاً :

- هناك افراد وشركات ومنظمات ومصانع اسلحة وسياسيون ورجال أعمال يعيشون بيننا فى هذا العالم ويجمع بينهم أمر واحد .. القتل لأجل المال..

وهنا تدخل المسئول هاتفاً :

- من المؤسف أن دولاً كثيرة تصدر تشريعاتها لتجريم هذه المهنة ولكنها فى نفس الوقت تستعين بهم لتنفيذ مصالحها العليا.. (ثم صمت لحظات بعدها استطرد متسائلاً) .. ولكن ما خططنا الأن؟؟ هذا الابن القاتل يريدها حرب شوارع وجيشنا صغير تم اهمال تطويره لسنوات عديدة وامكانياتنا الحالية لن تضمن لنا الاستمرار فى المقاومة مدة طويلة فى ظل وجود هؤلاء

المرتزقة الذين وبحسب تقارير المخابرات سيكونون فى قلب العاصمة بعد ثلاث ساعات من الأن ..

تمتم الوزير وسط تفكيره العميق مكررا عبارة المسئول :

- ثلاث ساعات من الان .. (ثم استطرد في غيظ وغضب واضحان) اللعنة على هذا الابن ..لم يكتفى بتحويل البلاد من نظام جمهورى الى نظام يحمل مزيجا من الجمهورية والملكية بل يصر على دفع الوطن الى طريق الدم والخراب..

قال المدير:

- يستحق بالفعل ان يكون بلغة مصطلحات السياسة ابن الجملوكية ..

هتف المسئول :

- بل هجين .. لا تنسى انه من أصول انجليزية ..

عاد الوزير يردد :

- هجين الجملوكية (ثم هتف مستطردا لهما فى حزم صارم) ليس أمامنا غير الكفاح والنضال ..هذا المعتوه يريد سفك دماء بنى وطنه من أجل تحقيق مصالحه الشخصية وعلينا أن نقاومه حتى أخر قطرة من دماءنا..

(ثم أضاف فى حماس شديد) لن ننهار أو نستسلم .. لقد قال القدر كلمته وألقى علينا مسئولية انقاذ هذا الوطن الذى ينادي بأعلى صوت مطالباً بإنقاذه .. وعلينا أن نلبي النداء .. نداء الواجب ..

فهتف المدير والمسئول فى صوت حماسي واحد :

- ونحن فداءً للوطن ..

فهتف الوزير فى سرعة وبمزيج من الحزم والصرامة :

- فلنجمع كل المخلصين من أبناء الوطن .. جنود ، قادة ، عمال ، طلبة ، شباب ، موظفين .. الكل سيشارك فى انقاذ الوطن .. سنصنع فرق مقاومة

قتالية فدائية من المتطوعين نقودها نحن بأنفسنا فهؤلاء المرتزقة محترفين لذا لابد أن نضع خطط غير تقليدية لمقاومتهم وهزيمتهم ..سنجبرهم بإذن الله الى العودة خائبين مهزومين (ثم أشار الى التقارير والصور وهو يتابع) .. ولكن فى البداية أريد مراقبة مكثفة ودقيقة لكل تحركاتهم ..اريد تجهيز مجموعات رصد ومتابعة طوال الأربعة وعشرون ساعة ..

(ثم التفت بإتجاه الغرفة المجاورة منادياً) .. أيها الجنود ..

وفى لحظات كان الجنود يندفعون عبر الباب الفاصل بين الغرفتين ويصطفون امامه وبعد تبادل التحية العسكرية هتف بهم فى حماس :

- لقد حانت اللحظة .. كل جندي فيكم سيكون قائداً لفرقة مقاومة ..سنواجه الأعداء فى الداخل والخارج .. سنحول حياتهم الى جحيماً وسنجعلهم يندمون على أنهم تجرأوا وجاءوا الى بلادنا .. فهل أنتم معنا ؟؟

صاحوا بصوت هادر اهتزت له الجدران :

- كلنا معك ..

فصاح الوزير بقوة :

- كلنا مع الشعب .. (ثم استطرد) فلنمضي على بركة الله .. بإسم الله .. الوطن .. الثورة .. الشعب ..

فوقف المدير والمسئول والوزير وهتفوا مع الجنود بمنتهى الحزم والحماس :

- الله .. الوطن .. الثورة .. الشعب

و..

وبدأ الكفاح ..

*****

وفى القصر..

دلف السكرتير الخاص لابن الرئيس الى حجرة مكتب الاخير قائلاً له :

- قائد القوات الدولية وصل يا سيدي..

فهب الابن واقفاً وهو يهتف :

- أدخله بسرعة ..

وبالفعل ظهر على عتبة الحجرة رجل فى أوائل الخمسينيات من عمره بدا مميزاً جداً بملامحه القاسية التى تنطق بالاجرام وشعره الاشعث والسترة العسكرية التى بدت متناقضة مع السروال الازرق (البلو جينز) والحذاء الأسود الجلدي الرخيص .. باختصار كانت هيئته لا تتناسب أبداً مع فخامة المكان أو حتى مع مقولة (قائد القوات الدولية) وقد تجاهل الابن كل ذلك ومد يده يصافحه بابتسامة واسعة قائلاً له :

- مرحباً بك فى بلادنا ..

صافحه الرجل قائلاً فى اقتضاب وبصوت غليظ وهو يتأمل المكان بتمعن شديد بصورة تتنافى مع قواعد اللياقة :

- مرحباً ..

جلسا الاثنان فى ركن خاص بالغرفة وقال الابن والابتسامة لم تفارق وجهه:

- أتمنى أن تكون رحلتك الى هنا لم يصادفها أية مشكلات أو صعوبات..

قال الرجل فى برود :

- لا .. (ثم اضاف فى صرامة) حتى ولو حدث .. فنحن نستطيع التعامل مع أى مشكلة ..

تفحصه الابن بعينيه للحظات ثم قال :

- أليس غريباً فى أنك تتحدث اللغة العربية بطريقة سليمة..

ظهر شبح ابتسامة على وجه الرجل وهو يرد:

- أتحدثها وأقرؤها أيضاً .. نصف مهام جيشي كانت فى دول تتحدث اللغة العربية.

اتسعت ابتسامة الابن وهو يقول :

ـ جيد جداً .. لحسن حظي انكم كنتم في مهمة قريبة من بلادي لان التوقيت بالنسبة لي هام جداً..

قال الرجل فى صرامة:

- ولكننا لم نتفق بعد..

رد الابن فى سرعة:

- كل ما تطلبه ستجده .. ولكن من المهم تنفيذ مهمتكم هنا بأسرع وقت ممكن بالتعاون مع جهاز الشرطة لدينا..

هتف الرجل فى حدة بالغة :

- لكنني لا اتعاون مع احد..

رمقه الابن بنظرة طويلة ثم قال :

- التعاون والتنسيق بينكما سيضمن سرعة الانجاز وردع المتمردين

صمت الرجل للحظات ثم قال

- حسنا ..ولكن هناك شرط.

تنهد الابن وهو يسأل :

- ما هو؟

اعتدل الرجل فى جلسته وهو يقول بلهجة حاسمة :

- القيادة كلها تكون بيدي ودون مناقشة.. فأنا لا أتلقى الأوامر من أحد .

قطب الابن حاجبيه وهو يقول بشئ من الانفعال :

- ولكن هذا بعيد تماما عما اتفقت عليه مع السيناتور..

هتف الرجل :

- السيناتور ايضا اكد لي انه يضمن بان كل شروطي ستنفذ وعلي هذا الاساس جئت انا وجيشي الذى يعد من اقوى وأكبر الجيوش المأجورة فى العالم .

زفر الابن فى ضيق وحاول السيطرة على انفعالاته وهو يقول فى غضب مكتوم:

- وهل هناك شروط اخري؟؟

قال الرجل فى حزم :

- بالطبع فبعد دراسة سريعة قمت بها اثناء قدومي اليك للوضع هنا في وطنكم تبين انه لابد من زيادة الميزانية..

اتسعت عينا الابن فى دهشة حقيقية وهو يهتف باستنكار:

- هل تعني ان خمسة مليون دولار في اليوم لا تكفي..

اشار الرجل بيده قائلاً:

- بكل تأكيد فلدي ثلاثة الاف مقاتل اعتادوا الهجوم علي اهداف محددة وانت تطلب الانتشار في شوارع العاصمة وصد ومنع اي تظاهرات وفرض النظام والسيطرة علي الوضع بالاضافة الي مراقبة ورصد تحركات قادة الثوار والقضاء عليهم كل هذا يحتاج الي المزيد من السلاح والعتاد وتجهيزات اخري لضمان نجاح مهمتنا هنا..

انعقد حاجبا الابن وهو يقول :

- المدينة صغيرة وهناك مخازن سرية للاسلحة ستكون تحت سيطرتك بالاضافة الي ان المئات من رجال الامن سيكونون معكم.. كما أنني قمت بتجهيز معسكر كبير مجهز تماماً لاستضافتكم وعلى درجة عالية من التأمين..

فتساءل الرجل فى اقتضاب:

- وجيشكم ؟؟

اجابه الابن فى سرعة :

- استطيع ضمان ان تستعينوا ببعض العتاد من جيشنا ولكن من الافضل عدم الاعتماد علي ذلك او التعاون مع فرد من افراد جيشنا لانني لا اضمن ولاءهم الكامل لي..

أومأ الرجل برأسه ثم التقط نفساً عميقاً وهو يقول :

- المطلوب ١٠ مليون دولار..

هتف الابن فى عصبية :

- هذا يعنى ضعف المبلغ المتفق عليه .. فلنجعلها سبعة ملايين ..

قال الرجل فى حسم صارم :

- عشرة ملايين دولار غير قابلة للنقاش .. والا فانت تضيع وقتي ووقتك في الهراء..

لوح الابن بيده وهو يقول بإعتراض واضح :

- ولكن ميزانية الدولة لا تسمح بدفع هذه المبالغ الكبيرة ..

مال الرجل الى الامام وقال بلهجة حادة شرسة :

. ميزانية الدولة .. هل تتصور انني غر ساذج او فرد من حكومتك او مندوب عن دولة ما يجلس معك للتوقيع علي اتفاقية تعاون هزلية من تلك التي توقعونها لمجرد الظهور علي الشاشات التليفزيونية كنجوم السينما ..

انني اعلم تماما انك تملك حسابات بالخارج بالمليارات ومن مختلف العملات الاجنبية .. فلا تلعب معي هذه اللعبة .. (ثم مال الى الامام أكثر وهو يقول ببطء وبصوت أشبه بفحيح الثعبان) هل تحب ان تسمع كم تبلغ حساباتك في البنوك السويسرية بالارقام حتي تاريخ امس؟ ..

تجمدت ملامح الابن وبدا انه سينفجر فى وجه الرجل الا انه تماسك وهو يقول فى برود :

- يبدوا ان احترافك يتعدى القتل ليصل الى التجسس ..

قال الرجل بفخر:

-.لذلك يطلقون علىّ الزعيم ..

فردد الابن فى خفوت :

- الزعيم ..

فهتف الزعيم فى ثقة :

- وبكل جدارة ..

اعتدل الابن فى جلسته وهو يقول بلهجة قوية:

- حسنا اريد ان اري ذلك علي ارض الواقع.

اشار الزعيم بيده قائلاُ:

- في هذه الحالة اريد ايداع قيمة اسبوع كامل مقدما علي رقم حسابي في رويال بنك باسكتلندا ..

فقال الابن فى سرعة :

- اعطني رقم حسابك وفي خلال ساعة واحدة سيتم ذلك..

أومأ الزعيم برأسه وهو يقول :

. جيد .. وكخطوة اولي لمهمتي هنا ساطبق حظر تجوال من الساعة السادسة مساءا حتي السادسة صباحا..

فهتف الابن :

- اوافق..

حدجه الزعيم بنظرة نارية وهو يقول فى خشونة :

- وأنا لا أنتظر موافقتك ..

احمر وجه الابن وظهر الغضب الشديد على ملامحه ولكنه تماسك مرة أخرى وقال وهو يزفر فى ضيق :

- حسناً (ثم عادت القوة الى صوته وهو يستطرد فى صرامة

- ولكني فى إنتظار النتائج التي ارجو تكون علي قدر ثقتك بنفسك..

ابتسم الزعيم وهو يقول بلهجة شيطانية :

- سوف تري باسرع مما تتصور..

فقال الابن :

- اتمني ذلك..

وهم بالنهوض من جلسته الا ان الزعيم قاطعه صائحاً :

- هناك امر اخير..

عاد الابن لوضع الجلوس وقال فى حنق واضح :

- هل ساقضي عمري كله في مناقشة مطالبك وشروطك..

تجاهل الزعيم تعليق الابن واستطرد قائلاً :

- هي قاعدة هامة في التعامل تعودت علي ذكرها للعميل قبل بداية كل مهمة وهي انني وافراد جيشي مهمتنا هي القتل .. مواجهاتنا كلها ستكون بالرصاص الحي .. وليس المطاطي .. بالقنابل اليدوية وقاذفات الصواريخ واللهب وليس بقنابل الغاز..

فهتف الابن بدون تردد :

- ما يهمني هو النتيجة..

فقام الزعيم من مكانه قائلاً :

. اتفقنا..

وتصافحا الإثنان ..

ورقص الشيطان فى جزل لنجاح الصفقة..

صفقة الدم..

والخيانة ..

*****

(١٨) الخدعة الرهيبة ..

نفذ زعيم المرتزقة قاعدته الدموية بكل حذافيرها ..
كتطبيق عملي لأول يوم له ولجيشه فى العاصمة ..
أى تجمهر أو تظاهرة كان يقابلها اطلاق النيران بكثافة رهيبة ..
وبدون سابق إنذار..
وبلا رحمة..
وسالت الدماء أنهارا فى شوارع المدينة ..
وإكتظت المستشفيات بالمصابين ..
وسقط الكثير من الشهداء..
ورغم ذلك لم تهدأ الثورة ..
أبداً ..

وأعلن ابن الرئيس وبشكل رسمي عن وفاة والده بسبب أزمة قلبية حادة أودت به وأمر بوقف العمل بالدستور واجراء انتخابات رئاسية مبكرة عن طريق اعلان دستوري مؤقت للبلاد وذكر بأنه سيرشح نفسه للانتخابات بل وأكد فى تعالي وتحدى سافر بأنه المرشح الوحيد وليس له منافس .. وكان يتجاهل تماماً الانتقادات الدولية حول استعانته بمرتزقة لوئد الثورة ..

وطوال اسبوع كامل ودون كلل أو راحة كان وزير الدفاع ومعه مسئول الامن القومي فى الموقع السري (ج) يضعون خطة الكفاح التي بدأت بطباعة عاجلة لمنشورات لاصقة تندد بإستخدام الرئاسة لمرتزقة اجانب لقمع ثورة الشعب .. وتدعو الشعب للاتحاد والمقاومة والكفاح من اجل تحقيق الهدف الاسمى ..

كرامة .. حرية .. حياة انسانية ..

وتم توزيع هذه المنشورات فى كل مكان بواسطة المتطوعين من الاصدقاء والاقارب .. وكانت هذه المنشورات لها مفعول السحر لدى افراد الشعب حيث انضم كثيرون منهم الى فرق المقاومة وتولي الجنود الاربعة وبالاستعانة بزملاء لهم تدريب المتطوعين بواسطة برنامج مكثف جدا خاص بالرماية والقنص واستعمال الاسلحة والمتفجرات بصورة فعالة ..

وحدث الانفجار الاول بواسطة عبوة ناسفة تم زرعها بطريقة معينة بحيث تنفجر أثناء مرور احدى فرق المرتزقة وكانت النتيجة انها قضت على خمسة منهم ..

وتساقط المزيد منهم بعد انتشار عمليات القناصة التى قام بها متطوعين بعد اجتيازهم للتدريب والتى كانت تستهدف رؤوسهم..

وجن جنون زعيم المرتزقة وهو يأمر رجاله بالمزيد من القسوة والعنف ..

وتحول وزير الدفاع الى رمز للمقاومة وللثورة ..

ورصد ابن الرئيس مكافأة مالية ضخمة لمن يعثر عليه حياً أو ميتاً ..

وفى نفس الوقت كان مدير المخابرات قد كون مجموعات من رجاله لرصد ومتابعة أماكن وتنقلات فرق المرتزقة وجداول تحركاتهم ومواعيد المناوبات ودراسة كل ما يخصهم بصورة دقيقة للغاية .. و..

واكتشف شئ غامض وعجيب ..

ولقرابة ساعة كاملة داخل احدى المقرات السرية للمقاومة تركه رجاله يراجع كافة التقارير وتحليلات الموقف أكثر من مرة ..وكلها تؤدي الى نفس النتيجة العجيبة ..

والمخيفة ..

وفى توتر شديد انعقد حاجبيه وهو يراجع للمرة المليون تلك التقارير الوارد من جهات متعددة داخل وخارج وطنه ..وتراجع فى مقعده ببطء وهو ينقر بأصابعه فوق المنضدة بعصبية واضحة لدرجة أن احد رجاله تطلع اليه فى قلق وسأله مغمغماً :

- أهناك شئ ما ؟

تنهد مدير المخابرات قائلاً فى سخط وحنق :

- بلي .. كارثة ..

ثم أمسك بكومة التقارير التى أمامه مضيفاً :

- لو صح استنتاجي بناءً على هذه التقارير فإن الوطن سيواجه كارثة حقيقية خلال الايام القليلة القادمة ..

وفجأة دب فيه النشاط وتناول سترته واندفع الى خارج الحجرة وهو يهتف لرجاله :

- سأذهب الى الموقع جـ .. واذا حدث شئ .. أى شئ .. أبلغوني على الموجة السرية الثانية من اللاسلكي ..

وداخل المقر الرئيسي للمقاومة والمشار اليه بالموقع جـ استقبل وزير الدفاع ومسئول الامن القومي مدير المخابرات الذى قال وبدون أى مقدمات :

- الأمر معقد ومتشابك وبالغ الخطورة ..

هتف الوزير فى سرعة :

- هات ما عندك .

ازدرد المدير لاعبه فى سرعة ثم قال بلهجة أن الأمر خطير بالفعل :

- من المعروف ان ابن الرئيس استعان بالمرتزقة حتى يساعدونه فى قمع الثوار وافشال الثورة .. ولكن ..(صمت لحظة ثم تابع قائلاً) ولكن يبدوا أن هذا ليس الهدف الأساسي لوجودهم فى وطننا ..

تبادل الوزير والمسئول نظرات التساؤل الحائر وقال الاخير فى دهشة :

- ماذا تعني ؟

تنهد المدير وهو يقول:

- أعني أن الـ ٧٢ ساعة الماضية شهدت تغيراً جذرياً فى طريقة انتشارهم بالعاصمة .. هناك فرق كاملة منهم متمركزة الأن داخل مناطق استراتيجية هامة مثل معابرنا الرئيسية على الحدود ، آبار النفط الخام ، المناجم ، البنوك ، المصانع والشركات الكبرى ، الوزارات ، مبنى الاذاعة والتليفزيون ، جميع المناطق العسكرية والشرطية .. وساعدهم فى ذلك بعض الخونة فى الأجهزة الأمنية والحكومية حيث وعدهم ابن الرئيس بتولي مناصب سيادية عليا فى حالة فشل الثورة ..

اتسعت عينا الوزير بشدة وهو يقول :

- ولكن هذا يفوق عددهم ..

أومأ المدير برأسه قائلاً :

- بالضبط .. لذلك أكدت التقارير أنهم استعانوا بأكثر من ٣٠٠٠ أجنبي دخلوا بلادنا كسائحين منذ ستة أشهر ولكنهم لم يخرجوا رغم انتهاء فترة اقامتهم .. أغلب هؤلاء الاجانب من الامريكيين والباقي من جنسيات مختلفة قاموا بتزويدهم بالعتاد والسلاح ..واللافت للنظر أن جميعهم خدموا من قبل فى الجيش الأمريكي لفترات طويلة ..

غمغم المسئول وهو يعتصر عقله بالتفكير فيما يقال :

- إذن هناك خطة رهيبة تقوم بها الولايات المتحدة الأمريكية تجاه وطننا ..

هتف المدير:

.بكل تأكيد ..

(ثم أستطرد قائلاً): الأغرب من ذلك أن هناك عناصر تابعة لنا رصدت هؤلاء الأمريكيين وهم يقومون بحث أبناء وطننا على الاستمرار فى الثورة..

ساد الصمت فى الحجرة لفترة طويلة قطعها وزير الدفاع وهو ينتفض واقفا ويتجه فى سرعة الى لوحة كبيرة معلقة على الحائط تحتوي على خريطة تفصيلية للوطن وتناول قلما من جيب سترته ووضع عدة علامات فى أماكن متفرقة ثم نظر اليها متأملاً و...

وشهق فى ذهول عنيف وهو يهتف :

- يا إلهي .. انهم يطوقون الوطن ..هل تعلمون ماذا يعنيه هذا؟ ..

قال مدير المخابرات فى بطء مخيف :

- الاستعداد للاحتلال ..

هتف المسئول وقد شحب وجهه :

- إذاً هذا التمركز الاستراتيجى يعنى أنهم ينتظرون ساعة الصفر .. وبعدها ...

لم يكن يحتاج الى إتمام عبارته فالجميع أدرك ما يريد ان يقوله فى حين عاد وزير الدفاع الى مقعده وهو يقول فى خفوت وكأنه يتحدث مع نفسه:

- نعم مع الأسف ..

ثم استعاد رباط جأشه وهو يقول فى حزم :

- انها خطة بعيدة المدى تنسج أمريكا خيوطها من داخل البنتاجون والمخابرات الأمريكية وتهدف إلى حصار المنطقة بأكملها والاستيلاء عليها وعلى خيراتها .. ولأننا حليف قوي لأمريكا نؤيدها فى كل ما تقوله أو تفعله وننفذ مطالبها كان من الضروري إيجاد مبرر قوي لدخول وطننا الغالي .. وبدأت خطتهم الشيطانية الرهيبة .. (ثم اعتدل فى جلسته وهو يتابع) .. سوء الأوضاع والفساد المستشري فى كل مجال وعلى كافة الأصعدة وأسلوب

الشرطة المعتمد على القمع والترويع والتهديد والابتزاز وكم من الجرائم التي ارتكبت بإسم قانون الطوارئ .. كل ذلك كان يؤكد بأن الثورة قادمة ولا جدال فى ذلك .. ولكن متي؟؟ ..عامل الوقت كان هو الشغل الشاغل لأمريكا ..ولذلك ومن أجل الاسراع فى إشعال فتيل الثورة .. قاموا بتقديم كل الدعم لابن الرئيس وهم يعرفون جيداً أنه غير محبوب وغير مقبول من شعبه ومن ثم سيثورون عليه ويطالبون بالتغيير وتنتشر الفوضى وبالتالي يتم إنهاك الاجهزة الأمنية ..ولأنهم يفهمون شخصية ابن الرئيس جيداً فهم يدركون أنه سيحاول فعل أى شئ لإفشال الثورة حتى ولو تحالف مع الشيطان نفسه.. فأوقعوه فى فخ المرتزقة .. والاستعانة بهم يعنى المزيد من المذابح فتزداد الانتقادات الدولية لابن الرئيس الذى سيضطر ومعه المجتمع الدولي الى المساعدة من الأمم المتحدة للتدخل بإرسال قوات لحل الأزمة وإعادة الأمن والأمان للبلاد.. وهذا ما تنتظره أمريكا .. مبرر شرعي يجعلها تدخل وطننا وتحتل أرضنا وتنهب خيراتنا مثل ما حدث فى العراق ..

ظهر الوجوم على وجوههم وساد الصمت المشوب بالقلق والتوتر قبل أن يقول المسئول :

- هذا يعني أن ابن الرئيس كان مجرد لعبة ماريونيت يحركون خيوطها كيفما يشاؤون من أجل الهدف الرئيسي..

هتف المدير فى حزم وهو يضيف:

- الاستيلاء على منجم اليورانيوم فى الجبل الشرقي..

تابع الوزير:

- بالضبط .. خيرات هذا المنجم يضمن لهم تشغيل محطاتهم النووية لمدة مائة عام على الأقل..

تساءل المسئول فى حسم :

- حسناً .. وفى ضوء كل ذلك .. ما هي خطوتنا المقبلة ..

تبادل ثلاثتهم النظرات فى صمت وعقولهم تعمل بسرعة خارقة لتحديد ما يجب فعله .. و ... وهتف الوزير:

- سأتصل بإبن الرئيس .. لابد من التحدث معه فى هذا الشأن ..

ظهرت الدهشة على وجهى المسئول والمدير الذى ضاقت عينيه وهو يسأله :

- إلي ماذا ترمي بالضبط ؟

قال الوزير فى حزم :

- أريد أن تعرف أمريكا أننا اكتشفنا خطتها ..فالابن سيقوم بإبلاغ زعيم المرتزقة والذى بدوره سيخبر السيناتور وبالتالي الرئيس الأمريكي مباشرة ..

هز المسئول رأسه نافياً :

- أعتقد أن هذا لن يفيد في شئ ..فهو لن يهتم .. ولن يصدقك ومطامعه ستعميه عن رؤية الحقيقة .. (ثم إلتفت الى مدير المخابرات يسأله) .. ما رأيك أنت؟

رد المدير:

- إنني أتفق مع رأي الوزير.. فعندما يعلمون أننا كشفنا مخططهم فهذا كفيل بإرباكهم وقد نكسب نحن بعض الوقت ..

هتف المسئول متسائلاً:

- وأثناء ذلك .. ؟؟

وبلهجة حماسية قال الوزير:

- لا بديل عن المقاومة .. سنستمر في كفاحنا .. لابد ان تكون ضرباتنا لهم مكثفة ومؤثرة وفعالة وسريعة ومتتابعة..

هز المسئول رأسه مؤيداً ثم مال الى الامام قليلاً وهو يقول محذراً :

- حسناً .. ولكن كن حذراً لأنه سيحاول تتبع المكالمة لمعرفة مكانك .. فحاول ألا تتعدى مدة المكالمة الدقيقة الواحدة ..

أومأ الوزير برأسه متفقاً قائلاً وهو ينهض من مكانه :

- ساقوم اولا بكتابة ملخص سريع يضم كل ما اكتشفناه وسأرسله اليه عن طريق هاتف خلوي سأتحدث معه من خلاله فى مكان بعيد تماماً عن موقعنا هذا ..وبعدها سألقي الهاتف فى البحر..

قال المسئول فى حزم :

- وفى أثناء ذلك سأحاول مع مدير مخابرات وضع بدائل ومقتراحات لكيفية التحرك فى ضوء التطورات الجديدة .. فلدينا نقص كبير في الامكانيات خاصة بعدما امر الابن بفتح جميع مخازن السلاح للمرتزقة..

فقال الوزير بصوت حاسم :

- فكروا وسأعود إليكم سريعاً ..فلابد من وجود بديل .. فلن نترك وطننا في ايدي الطامعين والطامحين والمتآمرين والقتلة والخائنين..

صاح المدير قائلاً له :

- كن حذراً ..

فهتف الوزير:

- فليكن الله سبحانه وتعالى معنا جميعاً

وأغلق الباب ورائه وترك الاثنان غارقان فى وضع خطة مقاومة عاجلة لمواجهة خطط الشياطين المخادعين ..

شياطين هذا العالم ..

العاشقين للسيطرة ..

والاستيلاء على خيرات الأوطان ..

بمساعدة الخائنين ..
وبخدعة دموية رهيبة ..
ثمنها ..
دماء الشرفاء والمخلصين ..

*****

(١٩) الزعيم ...

انشغل ابن الرئيس بمتابعة ما ينقله شاشة تليفزيون ضخمة فى مكتبه من تقارير ومتابعات عالمية حول ما يدور فى الوطن و ...

وانبعثت نغمة خاصة من هاتفه المحمول لتعلن عن وصول رسالة فمد يده داخل سترته وضغط عدة ازرار فى هاتفه ليستقبل الرسالة ويفتحها ليرى فحواها و..

وقطب حاجبيه بشدة وهو وعينيه تقرأ سطورها بسرعة .. واتسعت عيناه فى دهشة ثم ألقى نظرة على الرقم الغريب الغير مسجل عنده والذى جاءت منه الرسالة ثم ..

رن هاتفه المحمول ليعلن ان هذا الرقم يتصل به ..

واندفع الابن ناحية باب غرفته ليفتحه فى سرعة قائلاً فى لهجة آمرة لسكرتيره الخاص الموجود بالغرفة المجاورة:

- أريد أن أعرف مصدر المكالمة التى يتلقاها تليفوني المحمول الان .. أريد معرفة مكان المتصل ..

أومأ السكرتير برأسه ونظر الى شاشة الكمبيوتر الخاص به وضغط ازراره فى سرعة كبيرة وبإهتمام شديد فى الوقت الذى أغلق فيه الابن باب حجرته وهو يغط زر استقبال المكالمة ويضع الهاتف بجوار أذنه وهو يقول فى صرامة شديدة :

- من انت ؟؟

أتاه صوت حازم قوي يقول :

- أعتقد بأنك مازلت تتذكر صوتي..

ارتسمت ابتسامة كبيرة على وجه الابن وهو يقول فى مزيج عجيب من الحدة والسخرية :

- مرحباً بالوزير السابق .. أم تحب أن أقول مرحباً ببطل الثورة المزعومة وزعيم المتمردين الهارب .. قل لي .. هل أنت مستمتع الأن بدورك الجديد فى المشهد السياسي الحالي؟

هتف الوزير قائلاً له بصرامة شديدة:

- قل لي أنت ..هل تتصور بأنك عندما تستعين بالمرتزقة الأوغاد سيجعلك منتصراُ فى النهاية؟ .. ألم تتعلم بعد من ثوار ليبيا الأحرار الذين قاوموا بكل شجاعة وبسالة مدهشة مرتزقة القذافي القتلة الذين فشلوا فى قمع الثورة ولم يستطيعوا حمايته فخسروا معركتهم مع شعب ليبيا العظيم وخسر هو كل شئ وكانت نهايته مثل نهاية فأر حقير إنسحق تحت أقدام رجال آمنوا بحريتهم وكرامة وطنهم..

ضحك الابن وهو يقول :

- وهل تتصور أنني مثل القذافي؟ .. (ثم تحول صوته الى الغلظة الشديدة المليئة بالتحدي وهو يضيف) ..فلتعلم يا صديقي أن الشياطين أيضاً منهم من يتصف بالغباء وآخرون يتصفون بالذكاء ..فتأكد بأن النهاية ستكون لصالحي .. إنها مسألة وقت..

ظهرت الحدة فى صوت الوزير وهو يقول:

- بالضبط .. التقرير الذي أرسلته الى هاتفك هذا يؤكد أن المسألة هى مسألة وقت بالفعل بعدها ستلقي مصير كل عميل وخائن مد يده ليتحالف مع الشيطان من أجل الوصول إلى الحكم فأضاع وطن بأكمله.. (ثم صاح بصوت قوى حازم) ..تأكد بأن النهاية سيكتبها الشعب فوق جثث الخونة ..

أراد الابن أن يرد إلا أن الوزير انهى اتصاله فضم الأول شفتيه فى حنق شديد واتجه الى باب مكتبه الذى يفصله عن مكتب سكرتيره الخاص وأطل منه بعد أن فتحه متسائلاً فى لهفة :

- هل حددت مكان المكالمة؟؟

هز السكرتير رأسه نافياً قائلاً فى توتر:

- للأسف كنت أحتاج الى ثلاث ثواني إضافية .. و..

أغلق الابن باب حجرته مقاطعا سكرتيره وهو يزفر فى ضيق شديد ثم اتجه الى مكتبه وقام بتوصيل هاتفه بجهاز الكمبيوتر القابع بجواره وضغط عدة أزرار بتتابع منتظم وقام بطباعة التقرير بواسطة طابعة حديثة ..ثم اعاد قراءته بعناية شديدة ..وتفجرت دماء الغضب فى وجهه ..

ودارت فى ذهنه تساؤلات عديدة ..

لماذا تقوم أمريكا بخداعه وهو حليفها المثالي فى المنطقة بشهادة ساستهم ؟؟ ..

هل من الممكن أن تكون هذه خطة خداع من الوزير السابق لصنع وقيعة بينه وبين أمريكا؟..

ولكن هذا ليس أسلوبه .. فهو لم يعهد فيه الكذب أبداً ..

هل أمريكا تتطمح بالفعل فى الاستيلاء على منجم اليورانيوم .. وقامت بخداعه من اجل تحقيق هذا الهدف؟.. ولكن لماذا تتكبد كل هذا العناء؟ .. كان كافياً ان تخبره ..وكان سيجلس معها ويوافق على كل مطالبها كما حدث من قبل مرات ومرات .. و... لا ... من الواضح انها لا تريد أن يشاركها أحد فى الكميات التى ينتجها المنجم .. و..

وهنا ارتفع صوت سكرتيره عبر جهاز الاتصال الذى يربط بينهما وهو يقول له :

- قائد القوات الدولية يريد مقابلتك..

فضغط الابن الزر بدوره صائحاً :

- ادخله فوراً..

وما هي إلا ثواني قليلة وانفتح باب مكتبه دون استئذان ليظهر على عتبته زعيم المرتزقة بنفس هيئته الرثة قائلاً بدون كلمة ترحيب واحدة وهو يغلق الباب خلفه :

- أريدك ان تقوم بتحويل مبلغ ٧٠ مليون دولار على نفس الحساب الماضي ..

تنهد ابن الرئيس وهو يسأله فى برود :

- لماذا؟

هتف الزعيم فى خشونة :

- قيمة وجودنا هنا طوال الاسبوع القادم .. هل نسيت؟

تجاهله الابن وهو يتجه خارج مكتبه قائلاً له وفى يده الورقة التى تحمل التقرير الذي أرسله الوزير:

- دقيقة واحدة ..

ثم اتجه الى سكرتيره الخاص الذى انتفض واقفاً فى احترام بالغ بينما مال اليه الابن وهمس له ببضع كلمات وهو يشير الى الورقة ثم ناولها الى سكرتيره الذى قام على الفور بأخذ صورة ضوئية منها ثم أعادها الى الابن الذى عاد الى غرفته وجلس على مقعده خلف مكتبه وهو يقول فى حدة :

- لا .. لم أنسى .. ولكن لماذا أقوم بدفع كل هذه المبالغ ولم أجد حتى الأن نتيجة واحدة تستحق أن اواصل الدفع ؟

ظهرت الشراسة على وجه الزعيم وارتفع صوته وهو يجيب فى غلظة :

- لأني ذكرت لك فى البداية أن المهمة ليست سهلة أو عادية .. ف..

قاطعه الابن وهو يناوله التقرير قائلاً :

- قل لي ما رأيك فيما يتضمنه هذا التقرير..

حدجه الزعيم بنظرة ناريه وبدا معترضاً على مقاطعة الابن له ولكنه تناول التقرير وتحركت عيناه فوق سطوره ثم قال فى تهكم لاذع :

- ما هذا الهراء؟ من أين أتيت بهذا التقرير التافه؟

قال الابن فى هدوء غامض وهو يضغط أزرار اللاب توب الخاص به :

- أريد فقط أن اعرف تعليقك على ما جاء..

ألقى الزعيم التقرير بكل إستهتار ليسقط على مكتب الابن وهو يهتف:

- قلت لك .. تافه ..وليس له قيمة ..

نظر إليه الابن فى صمت ثم قال فى برود :

- وماذا لو كان حقيقياً ؟

رد الزعيم فى خشونة :

- إذن أنت تصدق كل ما جاء فيه ..

صمت الابن وتبادل هو والزعيم نظرات قوية وبدا أن الموقف بينهما سينفجر إلا ان الاول قال وسط ابتسامة غامضة :

-. إنتظر قليلا أيها الزعيم وسيتضح كل شئ ..

صاح الزعيم فى حدة :

- ليس لدى وقت لهذا الهراء .. أريد تحويل الأموال التى طلبتها منك ..

لوح الابن بيده قائلاً :

- كل ما أطلبه هو الإنتظار.. لن تخسر شئ ..

زفر الزعيم فى حنق بالغ ومرت عشر دقائق كاملة صامتة والابن ينظر بإهتمام الى شاشة اللاب توب التى ظهر عليها السيناتور فاعتدل فجأة هو يهتف عبر مكالمة الفيديو:

- مرحبا .. أيها السيناتور .. هناك تقريرا أتمنى أن يكون قد وصل إليك عبر البريد الالكتروني الخاص بك..

قال السيناتور فى حذر:

- نعم .. من أين حصلت عليه ؟؟

رد الابن :

- جاءني عبر هاتفي وقام سكرتيري الخاص بترجمته بسرعة الى اللغة الانجليزية وأرسله اليك.. والزعيم عندي هنا وقد سمعت رأيه ..فما رأيك أنت؟؟

أجاب السيناتور بعصبية واضحة :

- رأيي أن من كتبه يملك خيال واسع ..

رد الابن بسرعة مضيفاً :

- أو يرى الحقيقة جيداً ..

ضاقت عين السيناتور وهو يتساءل :

- أية حقيقة ؟؟

مال الابن إلى الامام وهو يقول بصوت بارد كالثلج :

- انكم تعشقون خداع الجميع ..

هم السيناتور بالرد عليه إلا أن الابن تراجع بظهره واعتدل فى جلسته وهو يستطرد فى حزم حاسم :

- فى الجميع الأحوال لقد قررت رحيل زعيمكم هذا هو وجيشه مع مكافأة صغيرة وقمت بإرسال التقرير الى رؤساء روسيا والصين وفرنسا

بالاضافة الى رئيس الوزراء البريطاني وذكرت لهم بإنني أتعرض لمؤامرة وأحتاج الى قوات دولية حقيقية لحماية بلادي..

اتسعت عينا الزعيم فى دهشة غاضبة بينما انتفض السيناتور فى مكانه وهو يقول بصوت هادر:

- هل جننت ؟ ..كيف تجرؤ على فعل هذا دون الرجوع إلينا؟..

ابتسم الابن قائلاً فى سخرية :

- يبدوا أنني تسببت فى فشل خطتكم .. أعتذر بشدة .. (ثم أضاف بصوت مرتفع حاد) فلا أحد يخدعني أبداً ..

رد السيناتور وقد احتقن وجهه بشدة :

- ولا أحد يعبث مع أمريكا .. أنت بدوننا لا شئ .. لا شئ ..

ثم هتف بصوت ثائر:

- أيها الزعيم .. أيها الزعيم

تحرك الزعيم ليقف بجوار الابن ليراه السيناتور عبر مكالمة الفيديو التى ينقلها اللاب توب .. ثم أجاب :

- نعم سيادة السيناتور ..

تجمدت ملامح السيناتور وهو يقول بلهجة آمرة :

.نفذ الخطة البديلة ..

اتسعت عينا الابن وهو يكرر :

- الخطة البديلة .. (ثم انتفض واقفاً فى سرعة وهو يهتف) إذن الأمر حقيقي بالفعل ..

وفى سرعة مذهلة تليق برجل عاش عمره فى الحروب استل الزعيم مسدسه وألصق فوهته برأس الابن وهو يقول وسط ابتسامة وحشية :

- نعم .. حقيقي ..

تجمد الابن فى مكانه وهبط قلبه بين قدميه..

كانت المفاجأة قاسية ..

لقد كان حليفهم المثالي ..

لكنهم خدعوه..

رغم ذكائه ودهائه الذى كان يتباهي به وسط الجميع إلا أنه ومن خلال خدعة رهيبة وصفقة دموية سقط فى الفخ كالغر الساذج..

وهذا يعني أن الأيام القادمة ستحمل الكثيروالكثير..

من الأحداث الدامية وبتوقيع خاص

من الموت ..

*****

(٢٠) بلا نهاية

أعلنت عقارب الساعة تمام الثانية عشر ظهر اليوم التالي ووزير الدفاع يسير ذهاباً وايابا في غرفته داخل الموقع السري وعلى وجهه علامات التوتر والتفكير العميق..

دخول أمريكا في الصراع ومحاولة استيلاءها على موارد الوطن يعني المزيد من المقاومة والكفاح ..والامكانيات المتاحة من اسلحة وذخيرة وعتاد لن تصمد كثيراً و..

ارتفع صوت مدير المخابرات من الجهاز اللاسلكي قائلاً:

- من نسر واحد الى صقر..

إندفع الوزير الى الجهاز وضغط زرا فيه وهو يجيب بصرامة عسكرية :

- من صقر الى نسر واحد .. اسمعك جيداً ..

جاء صوت المدير وهو يقول بلهجة قوية :

- هناك من يطلب مقابلتك والتحدث إليك ..

ظهرت الدهشة الحائرة على ملامح الوزير وهو يسأل :

- من هو؟

نقل الجهاز صوت المدير وهو يقول :

- لن تصدق أبداً ..

وذكر الاسم ..

واتسعت عينا وزير الدفاع في ذهول وهو يردد الاسم ..

فقد كان من يطلب المقابلة آخر شخص يمكن أن يتوقع ظهوره وسط كل هذه الأحداث .. آخر شخص على الإطلاق ..

*****

لم يرفع مدير المخابرات المنظار المقرب من عينيه طوال ربع ساعة كاملة من داخل سيارته وهو يراقب من بعيد تلك السيارة البيضاء القابعة أسفل إحدى الجبال بمنطقة معزولة تماما عن العاصمة .. حتى سأله وزير الدفاع الجالس بجانبه :

- هل تتوقع حدوث شئ ؟

هز المدير رأسه نافياً وقال:

- لا .. رجالي المنتشرون فى المكان يؤكدون أن الموقع آمن تماماً .. وليس هناك ما يمنع من إجراء المقابلة الأن .. (ثم فتح الباب بجانبه لينزل من السيارة فى الوقت الذى تحرك فيه الوزير ليترك مقعده ويجلس وراء عجلة القيادة بينما قال المدير) في جميع الأحوال كن حذراً ..

أومأ الوزير برأسه وتحرك بالسيارة متجهاً فى هدوء إلى السيارة الاخرى التى كان يراقبها المدير..

دقائق معدودة وأوقفها بجوار السيارة البيضاء التى انفتح بابها ليهبط منها السيدة ..

السيدة الأولى ..

زوجة الرئيس الراحل ..

كانت ترتدي ملابس سوداء وتخفي نصف وجهها بنظارة شمس سواء كبيرة و..

واقترب منها الوزير وتوقف أمامها وتصافحا فى صمت قطعته هي قائلة :

- اعلم ان لقاءنا هذا عجيب وغريب..

سألها الوزير مباشرة :

- ماذا تريدين بالضبط..

صمتت لحظات بعدها قالت بصوت منفعل قليلاً :

- اريد مساعدتك..

ردد الوزير فى دهشة :

- مساعدتي ..

أومأت برأسها قائلة بملامح جامدة:

- نعم ..

ضاقت عينا الوزير وهو يتساءل :

- ماذا تقصدين؟

أجابت بصوت باكى منكسر بدا عجيبا وهو يخرج من شخصية كانت حتى وقت قريب يملؤها الغرور والتعالى والجبروت :

- رغم وفاة زوجي إلا أن ابني رفض عودتي من الخارج نظراً لتدهور الأوضاع ولكنني قررت العودة وبدون أن يعلم أحد وبعد وصولي مباشرة صباح اليوم عن طريق خطة دخول سرية ومعقدة وبمساعدة احد الأصدقاء بالخارج ..وجدته يتصل بي ..صوته كان ملئ بالتوتر والقلق وهو يتكلم بسرعة من هاتف قديم كان يحتفظ به .. وذكر لي انه شبه محتجز داخل القصر الرئاسي بعدما قام زعيم المرتزقة بالاستيلاء عليه .. وذكر ان ما جاء في التقرير الذي ارسلته كان حقيقيا .. وقد اكتشف ذلك بنفسه .. بل استطاع ابلاغ رؤساء دول روسيا وفرنسا والصين وبريطانيا بالخدعة التى نسجتها أمريكا حوله و..

اتسعت عينا الوزير وهو يقاطعها فى ذهول :

- يا إلهي .. هل أبلغهم بالفعل؟ ..

أومأت برأسها بينما خطا هو بعض الخطوات مبتعدا عنها قليلاً مغمغماً بصوت منخفض للغاية وكأنه يحادث نفسه :

- إنه سياسي بارع بحق .. قام بإبلاغ باقي القوى العظمى بالخدعة الأمريكية ونقل الصراع كله ليكون بينهم وبين أمريكا التي أصبحت فى موقف دولي محرج و..

قاطعته وهى تسأله :

- هل تقول شئ؟

إلتفت اليها قائلاً فى انفعال :

- أكملي..

تنهدت وهى تتابع :

- لذلك طلب مني ان احاول الوصول اليك لتساعده ..

ظهر الغضب على وجه الوزير وهو يهتف في إستنكار:

- اساعد من .. اساعد خائن .. باع وطنه وشعبه من اجل السلطة..

ظهر الارتباك عليها وهى تقول مدافعة :

- اعترف بانني وزوجي رحمه الله اخطأنا كثيرا في حق الشعب والوطن .. اخطأنا عندما تصورنا انه سينجح في قيادة الوطن ويكمل مسيرة والده .. ولكنه .. ولكنه ..

اختنق صوتها ولم تستطع اكمال عبارتها وهى تحاول مقاومة دموعها..

تنهد الوزير وهو يقول بصوت حازم :

- للأسف .. سيسجل التاريخ انه أضاع وطنا باكمله ..

هتفت هى :

- مازال هناك فرصة ..

قطب حاجبيه قليلاً وهو يسأل فى اقتضاب:

- كيف؟

أجابت فى صوت يحمل بعض الحماس:

- استطيع ان اقدم لك كل الدعم لمساعدتنا .. مليارات الدولارات الموجودة في حساباتنا بالخارج كلها بين يديك..

هز رأسه فى بطء وهو يقول:

- مستعدة ان تدفعي المليارات من اجل انقاذ ابنك .. ولم تتذكري الوطن .. الوطن الذي سلبتوه وتركتوا شعبه يئن من الفقر والجوع والمرض.. بينما أمواله مخزنة ومكدسة فى حسابات البنوك العالمية بأسمائكم..

هتفت بلهجة أقرب إلى التوسل :

- خذ ما تريد وبدون حد أقصى .. تستطيع شراء ما تريده من سلاح وعتاد وتوفير ما يلزم من امكانيات .. وقم بانقاذ الوطن والشعب واترك لي ابني .. سآخذه ونسافر بعيدا ولن ترانا أبدا..

عقد ساعديه امام صدره وهو يقول فى صرامة :

- ابنك من المفترض ان يحاكم محاكمة شعبية بتهمة الخيانة العظمي..

نظرت الى الأرض ثم قالت بصوت يملؤه الأسى والحزن :

- ابني كان يتصور بأن ما يفعله يصب فى صالح الوطن .. كان يتصور أن تحالفه مع أمريكا يعني ضمان استقرار البلاد لفترة طويلة.

تابعت بسرعة :

- وهو الأن مخطئ ومعترف بخطئه ويريدك ان تتدخل لاعادة الامور الي مسارها الصحيح .. وهو يقسم لك بأنه سيختفي من الحياة السياسية الي الأبد..

رمقها بعينيه فى صمت وهو يزفر فى ضيق بينما تابعت هي متوسلة :

- ارجوك .. كل اموالنا تحت تصرفك .. إنني اعلم انك تستطيع استعادة الوطن .... و .. ولكن (صمتت لحظات أضافت بعدها) .. ولكنني ام تريد مساعدتك لإنقاذ ابنها ..

تنهد فى عمق والتفت بعيداً ينظر فى الأفق قائلاً فى حزم :

- بإذن الله تعالى سنستعيد الوطن .. (ثم نظر إليها مستطرد) ولكن بخصوص إبنك فـ ....

رفعت يدها مقاطعة حديثه قائلة :

- لا تتحدث عنه الأن .. فقط أريدك أن تستعيد الوطن .. وتستعيد استقلاله واستقراره وأمنه وأمانه ..

بالفعل ..

هذا هو كل ما يتمناه .. هو وأفراد المقاومة ..

انه حلمه الجديد ..

والتفت بعينيه و على مرمى بصره كانت تظهرالربوة العالية والتى يقبع عليها القصر الرئاسي..

وفى داخله بدأت تتشكل خطة جديدة..

ومرحلة جديدة من الكفاح والمقاومة لإستعادة الوطن..

وهذا يعني أن عليه هو وفريقه مواجهة قوى الشر..

وشياطين الأرض ..

وأن يخرجوا منتصرين من قلب الصراع ..

الذى تسبب فيه سياسات رجل واحد..

هجين ولد من رحم نظام جملوكى..

انتهى الجزء الأول بحمد الله.